أبو إسلام أحمد عبد الله

العَوْلَمَةُ

الطَّرِيقُ إِلَى جَهَنَّم

مركز التنـــــــــــوير الإسلامي

الطبعة الثالثة رمضان ١٤٢٥هـ - أكتوبر ٢٠٠٤ ص*

الطبعة الثانية رمضان ١٤٢٤ هـ

الطبعة الأولى رجب ١٤٢٤ هـ

اسم الكتاب : العولمـة – الطريق إلى جهنم

المــــؤلف : أبو إسلام أحمد عبد الله

تصميم الغلاف : د.إسلام أحمد عبد الله

الإخراج الفني : أبو بكر صلاح الدين

عنوان المراسلة : القاهرة – كوبري القبة ١٠١ شارع القائد

البريد الإليكتروني : *abuislam_a@hotmail.com*

الهاتف : ٦٨٣١٥٥٢ – ٤٨٤٤٦٠٤ القاهرة

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٢٩٦٧

الترقيم الدولي : ٥ – ٠٧٥ – ٢٨٩ – ٩٧٧

(*) بحسب التقويم الصليبي المعروف خطأ بالتقويم الميلادي ، وفي داخل دراسة الكتاب استخدمت حرف (غ) بدلاً من حرف (ص) إشارة إلى التقويم الغربي الصليبي ، خشية الخلط بين حرف (ص) الذي يشير إلى كلمة صفحة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾

(الأنعام)

فهرس

مدخل إلى العولمة

شاع لفظ العولمة في الاستعمال اليومي لأدوات الصحافة والإعلام ، ولم يدخل بعد بصورة واضحة في المصطلحات الأكاديمية ، مما سبب له شيئاً من الغموض وعدم التحديد ، وهو لفظ قد يدل على (حالة) ، بأكثر مما يدل على (مفهوم) ، (حالة) يعيشها الناس من خلال تقنيات حديثة ، وتبنّي قيم بديلة ، وهذه الحالة ، جعلت هناك كثيراً من الخلط عند كثير ممن يدّعون أن العولمة مفهوماً يُدعى إليه ، ومن هنا فإنه يُدعى إليه من قِبَل النموذج الأمريكي .

وهذا التحويل "الجبري" والمفاجئ للعولمة من (حالة) إلى (مفهوم) ، أدى إلى انتشار فكر مدارس ما بعد الحداثة ، الذي يدعو في صورة متطرفة إلى زوال الدولة والأسرة والدين والثقافة واللغة ، باعتبارها قيوداً على الفكر والعمل ، وبذلك يصل الإنسان إلى النسبية المطلقة [التي تساوي السفسطة في الفلسفات العبثية القديمة، و"الفوضوية" في العبثية الحديثة] ، التي ادعت موت الإله ، ثم موت الإنسان ، وتكون الاستجابة إلى العولمة باعتبارها مفهوم ، ضياعاً لتراث الإنسانية وتدميراً لكل الأديان [1] ، لذلك وصفناها بأنها "الطريق إلى جهنم" .

ومن هنا ، فإن صياغة تعريف دقيق للعولمة ، تبدو مسألة شاقة نظراً

---

(١) د. علي جمعة : العولمة حالة لا مفهوم (دراسة) ، ندوة الإسلام والعولمة ، حزب العمل ، القاهرة ، يناير ١٩٩٩.

لتعدد وجهات النظر ، حول نشأتها في بيئة مشبوهة ومصادرها غير الشرعية وأصولها المجهولة ومبادئها غير لثابتة ، والتي تتأثر أساساً كضرورة حتمية ، بانحيازات الباحثين العقائدية أو "الأيديولوجية" ، واتجاهاتهم المذهبية ، إزاء هذه العولمة رفضاً أو قبولاً ، لكونها كما يقول صادق جلال العظم : (ظاهرة مازالت قيد التشكل والتكوين والصنع ، مما يعني بالتالي :

أولاً : أنها مازالت قيد الوصف والرصد والتحليل والتفسير في كل مكان عموماً ، وسوف تبقي في ظني كذلك إلى أن تموت .

وثانياً : أن كل شيء عنها وحولها مازال ، موضع سجال وفرضيات واقتراحات [٢] ، إلى أن يطرح البديل الأكثر شفافية ووضوحاً .

فعلى سبيل اليمين واليسار مثلاً ، نجد أن هناك وجهات نظر مختلفة بين "اليمين" المؤيد لمسار العولمة ويراها ظاهرة إيجابية ، وبين "اليسار" المناهض لهذا المسار ويراها ظاهرة سلبية وأنها أحد الأشكال الجديدة للهيمنة الغربية الرأسمالية ، بل وأكثر من ذلك، نجد هناك وجهات نظر مختلفة بين "اليسار التقليدي" الذي يراها أحد أشكال الاستعمار الجديد ، و"اليسار الجديد" أو المستأنس الذي يرى إمكانية التوافق معها دون التنازل عن الإرادات الوطنية المستقلة .

---

(٢) مجموعة كتاب: ما العولمة ؟ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩غ ، ص٦١.

وأيضاً قد تتعدد وجهات النظر في "اليمين" ، بين "يمين تقليدي" مدافع عن اقتصاد السوق الحر والمنافسة والشركات متعددة الجنسيات ، و"اليمين المعتدل" الذي يراها أحد وسائل التنمية للبلاد النامية بما يسمح لها بالتصنيع والمنافسة ودخول الأسواق العالمية وزيادة الدخل القومي ورفع مستوي المعيشة .

وهكذا فالخلاف في وجهات النظر في العولمة بين اليسار واليمين ، وبوضوح أكثر ؛ بين الاشتراكية والرأسمالية ، بين النظم الوطنية والأنظمة التابعة ، بين الخصوصية الذاتية والعولمة ، وأيضاً وهو مهم للغاية ؛ بين "وجهة نظر إسلامية" و"وجهة نظر غير إسلامية" ، برغم استبعاد كل الأيديولوجيات لأي طرح يُوجِد الإسلام داخل هذه المنظومة [٣] .

ومن الأطروحات الذي تؤصل الواقع "وجود الإسلام" داخل المنظومة العولمية ، نقفز خطوة للأمام بحثاً عن تعريف دقيق لنظرية العولمة أو الكوكبية ، فيقول **د. أحمد عبد الرحمن** أستاذ الفلسفة الإسلامية : "كما هو واضح من اسمها – العولمة – فهي تُبنى على نوع من الاتحاد أو التماثل ، أو حتى التطابق بين البشر الذين يعيشون على ظهر هذا الكوكب ، ولذا فإن السياسات التي تبنى عليها ، تبتغى أن تكون عالمية ، تتخطى التنوعات والتباينات والخصائص الفارقة للأمم

---

(٣) د. حسن حنفي : ما العولمة ، مصدر سابق ، ص ١٢ – ١٣ .

والثقافات ، ولأن حياة البشر متعددة الجوانب ، فكان من المحتم أن يجرى البحث في العولمة : الفكرية ، الثقافية ، الاجتماعية ، السياسية ، الاقتصادية ، القانونية [٤]" .

لكن عشرات أخرى من الرؤى – اختزالاً أو تبسيطاً – أجمعت على أن مفهوم العولمة ليس جديداً ، وأنه قديم بقدم وجود عناصر الاشتراك بين البشر التي تحقق إمكان اتحادهم في بعض الأفكار والنظم والقوانين .

ففي اللغة : ومن تفسير الجلالين ؛ نتلمس معنى العولمة في اللغة ، فنجدها مأخوذة من التعولم ، والعالمية ، والعالم ، وهي من قول الله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ (الحشر) ، والمقصود : معاشر الإنس والجن والملائكة والحيوان ، فكل صنف يطلق عليه عالم ، والتعولم هو الشمولية العالمية ، التي تخص عالم أمم الأرض .

وفي الاصطلاح : هي اصطباغ عالم الأرض بصبغة موحدة ، شاملة لجميع أقوامها ، وكل ما يعيش عليها ، وتوحيد النشاطات الإنسانية في قالب شامل لنواحي الحياة ، وتعتبر أداة تغيير معيشي(٤) .

ويفاضل **الدكتور محمد عمارة** بين العالمية وبين العولمة ، مفاضلة منهجية دقيقة ، في غاية الأهمية ، فيقول "إن العالمية تعني أن هناك حضارات متعددة ومتميزة ، أي أنها ليست متماثلة ، وأيضاً ليست

---

(٤) د. أحمد عبد الرحمن : العولمة . وجهة نظر إسلامية (دراسة) ، ندوة حزب العمل ، مرجع سابق .

منغلقة منعزلة ، عادية ، وإنما هناك نوع من الخصوصية ونـــوع مـــن التشابه ، أي أن هناك مشتركاً بين كل هذه الحضارات وهناك بصمات ثقافية وحضارية تميز كل حضارة عن الحضارات الأخرى ، وبين هـــذه الحضارات هناك قاسم مشترك تتفق عليه ، هو البُعد العـــالمي أو هـــو العالمية في الكوكب الذي نعيش فيه ، والمفروض أن تكون المؤسســـات الدولية لهذا النظام – إذا جاز اســـتخدام هـــذا المصـــطلح – ممثلـــة للخصوصيات المختلفة ، والقاسم المشترك بين الحضارات العالمية ، أما إذا جاءت حضارة من الحضارات واجتاحت العالم بقوتها وفرضت نمطها في الثقافة والمثل والقيم وطريقة العيش على العـــالم [كمـــا في النظـــام الأمريكي اليوم] ، فهذه الحضارة لا يمكن أن تكون حينئذ عالمية ، وإنما هذا ما يسمى خطأ بالعولمة ، ذلك لأن العولمة من المفروض أن تعني شيئاً عالمياً ، ولكن هذا الذي يُفرض الآن باسم العولمة ، إنما هـــو الرؤيـــة الغربية لنظام الهيمنة الغربية ، يُفرض قهراً على الحضارات الأخـــرى ، ومن هنا ؛ فهم يكذبون علينا عندما يتحدثون عن الشرعية الدوليـــة ، لأن ذلك لا علاقة له بالدولية ولا بالعالمية ولا بالقاسم المشـــترك بـــين الحضارات الإنسانية [٥]" .

وهو ما يؤكد عليه **د. قـدري حفـني** من وجهة نظر علـــم الـــنفس فيقول : إن العولمة ظاهرة ، هي في مجملها : (محاولة للدفع نحو توحيـــد

---

(٥) د. محمد عمارة : العولمة وتقنين الهيمنة الغربية (دراسة) ، ندوة ح العمل ، مصدر سابق.

سلوك البشر في إطار منظومة واحدة ، وقد يكون هذا الدفع سلمياً بالدعوة والإقناع ، وقد يكون قهراً باستخدام وسائل الإجبار المختلفة)[٦] .

وبصورة أكثر إلحاحاً على حقيقة العولمة ، يذهب البعض إلى أن العولمة هي جملة من الأوهام لإحلال ثقافة هجينة ، محل الثقافات السائدة ، اتجاهاً نحو التفتيت والتشتيت والتيئيس والإحباط ، والخروج بإنسان مهزوم من دنيا الوطن والأمة والدولة والسيادة ، إلى عالم متفكك الوطن أو الأمة أو الدولة أو السيادة ، حيث عالم الشركات العابرة ، والمؤسسات المتعدية ، كما لو كانت مقدمات تطبيقية للعودة إلى عصور ما قبل الدولة ، ولإذكاء الحروب الأهلية ، فتتحول الثقافة الإقليمية الواحدة ؛ بالتناحر ، إلى ثقافات ، ويتحول الشعب إلى جماعات ، والأمة إلى قبائل .

فإلى أي مصير مجهول تقودنا العولمة ؟ إن إجابات كثيرة يمكن أن ترد ، بأن العولمة قادتنا ، وتقودنا ، إلى ثورة معلوماتية غير مسبوقة ، لكن الواقع يشهد ، إنهم يكذبون علينا[٧] ، ذلك أن أحد الطرفين يملك كل المعلومات عن نفسه وعن الآخر ، أما الطرف الآخر فإنه لا يملك

---

(٦) محمد حسين أبو العلا : قراءة صحفية في فكر د.قدري حفني ، أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس ، تحت عنوان : مفاجأة في التفسير النفسي للعولمة ، مجلة الإذاعة والتليفزيون ، القاهرة ، التاريخ على التقريب ؛ ديسمبر ٢٠٠١ أو يناير ٢٠٠٢ ، ص ٨٤ .

(٧) محمد ناجي عمارة : أحاديث في الثقافة والعولمة (مقال) ، جريدة الرأي (عدد ١٠٦٧٢) ، الأردن ، ١٩٩٩/١١/٢٨ .

أي معلومات ، بل أصبح هو ذاته مادة معلوماتية ثرية يجمعها الطرف الأول وتصبح ملكه وحده دون أصحابها .

ويضيف **د. محمد عمارة** : "إنهم يكذبون علينا أيضاً ، حتى عندما يقولون أن وسائل اتصالاتهم جعلت العالم قرية واحدة ، لأنهم جعلوا بيوت القرية ليست سواء ، وسكانها أيضاً ليسوا سواء ، فقريتهم التي يُمَنُّوننا بها ، فيها القاتل والمقتول ، وفيها الظالم والمظلوم ، وفيها من يتأجج بأسلحة الدمار الشامل ، يُنزع سلاحه وتُنزع أظافره ويوضع في اللائحة السوداء ، فالطيران الأمريكي [قبل تطبيق عولمة الاعتداء على الأرض واحتلالها وسفك دماء أهلها ونهب ثرواتها] ضرب أجهزة (الرادار) العراقية قرب البصرة ، لماذا ؟ لأن هذه الأجهزة تمكنت من رصد طائرات بريطانية حليفة كانت تحوم فوق أرض العراق ، أي أنه غير مسموح لبعض أبناء القرية الواحدة أن يفتح عينيه على من يقتحم عليه أرضه وسيادته ، وكان جزاؤه القتل بالطائرات ، في الوقت الذي يمتلك فيه الكيان الصهيوني الأسلحة النووية ويحتل أرضاً ليست له ، إنما مسموح له بممارسة البلطجة في نفس القرية الواحدة[٨]" .

---

(٨) د. محمد عمارة ، مصدر سابق .

وهو ما يؤكده أيضاً د. **حسن حنفي** بقوله أن "العولمة في بُعدها السياسي ، أحد أشكال الهيمنة السياسية بعد انهيار أحد المعسكرين ، وانفراد المعسكر الآخر بالسيطرة على العالم[٩]" .

أما الدكتور **إبراهيم غليون** (وهو عراقي ذا ميول يسارية تتكئ على بعض المصادر الانتقائية من الفقه الإسلامي على شاكلة **حسن حنفي**) فيقول : إن "العولمة هي ثمرة تطورات موضوعية مرتبطة بالثورة التقنية العملية ، لكن هذه التطورات ليست مستقلة عن الاستراتيجيات الدولية من جهة ، ولا تعمل من دون الأهداف التي تحددها لها من جهة أخرى ، لأنها : تحولات تقنية وعلمية ، وهذه الاستراتيجيات ليست واحدة ، ولكنها تختلف باختلاف مواقع الجماعات ومواردهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية وثقافتهم وأخلاقياتهم [١٠]" .

* أما تعريف العولمة في بعدها الاقتصادي: فيقول **صادق العظم** "العولمة هي وصول نمط الإنتاج والرأسمالية عند منتصف هذا القرن تقريباً إلى نقطة الانتقال من عالمية دائرة التبادل والتوزيع والتجارة والتداول ، إلى عالمية الإنتاج وإعادة الإنتاج ذاتها خارج مجتمعات المركز الأصلي ودُوَله ، فتكون العولمة بهذا المعنى ، هي رسملة العالم على

(٩) ما العولمة ، مصدر سابق ، ص ٢٣ .
(١٠) برهان غليون وسمير أمين : ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ ، ص ١٧٠ .

مستوى العمق ، بعد أن كانت على مستوى السطح [١١]" .

ويضيف الباحث المصري **محمد مبروك** : "أن هذه العولمة هي تحقيق مصالح النخب الرأسمالية والنخب الحليفة ، على حساب شعوب العالم ، فالعالم يتم تقسيمه إلى مراكز وهوامش ، وكلما ازداد ثراء المركز ، ازداد فقر الهوامش .

فإذا كان الميكانيزم الأساسي للعولمة هو تعاظم أسعار المواد الأولية ، وكانت الأخيرة هي المقوم الأساسي لثروة الدول الفقيرة ، فإن تنامي العولمة ، يعني سحق الدول الفقيرة لحساب الدول الغنية [١٢]" .

لكن **د. محمد الجبري** ، يتوسع في تعريف العولمة الاقتصادية ، فيقول إنها: "تشمل مجال المال والتسويق والمبادلات والاتصال _ من إفرازات الثورة المعلوماتية وما يرافقها – هي ما بعد الاستعمار ، هي توحيد الاستهلاك وخلق عادات استهلاكية على نطاق عالمي ، هي تزايد التشابك والترابط بين الدول والمجتمعات إمبراطورية الرأسمال النقدي المستقل عن الرأسمالي الصناعي والبضاعي[١٣]".

* وعلى البعد العسكري : يعرفها **د.عبد الرازق عيد** ، بأنها "الرأسمال الأمريكي + العسكرية = بلطجة من طراز تقني رفيع ،

---

(١١) ما هي العولمة ؟ (ندوة) ، البعد الاقتصادي للعولمة (دراسة) ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٩٩٦ .
(١٢) محمد مبروك : ندوة حزب العمل ، مصدر سابق .
(١٣) صحيفة السفير ، بيروت ، ١٩ ، ٢٠ ، ١٩٩٣/٣/١٢.

وتوسع رأسمالي يحمل في يده مسدساً نووياً جديداً ؛ إنها عولمة الارتزاق والعسكرة القائمة على إشاعة ثقافة استهلاكية سفهة ، في ابتذالها وتفاهتها الإعلامية المُغتَصِبة للعقل[14]".

وبعد كل هذه الرؤى المتباينة ، نورد بعضاً من حوالي عشرين تعريفاً للعولمة ، وقد أحصاها صادق جلال العظم :

- العولمة مفهوم ذاع في العقد الأخير للترويج لظاهرة اقتصاد السوق الحر .
- العولمة مفهوم برز لإحكام السيطرة على العالم باسمه ولصالح "المركز" ضد مصالح "الأطراف" .
- أسطورة من أساطير العصر ، مثل "نهاية التاريخ" و"صراع الحضارات" و"المجتمع المدني" ... إلخ ، إذ أن ركائز العولمة مجموعة من الأوهام أقرب إلى الدعاية والإعلام منها إلى الحقائق و البحث العلمي .
- العولمة مسألة صراع ، وحالة مقاومة ، دفاعاً عن الاستقلال ضد التبعية ، وهي ظاهرة قديمة قدم التاريخ .
- اسم حركي للأمركة – جزء من جدل التاريخ – أشكال الهيمنة التي تعبر عن المركزية الأوروبية الغربية الجديدة في العصر الحديث .

---

(١٤) ما هو جديد العولمة (مقال) : مجلة الهدف ، العدد السنوي ١٩٩٨، ص ٨٠-٨٣.

– هي اتفاقية "الجات" والمنافسة والربح والتبعية السياسية ، وتجاوز الدولة القومية ، ونشر القيم الاستهلاكية – كمرحلة قد تطول أو تقصر حتى ينشأ القطب الثاني ، من مجموع دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وفي قلب العالم العربي الإسلامي [١٥].

ويذهب الدكتور **سليمان عربيات** ، إلى تعريف أشمل ، فيقول أن : "العولمة ؛ نظام اقتصادي في المقام الأول ، وسياسي واجتماعي في المقام الثاني ، إلا أنها تحمل ثقافة جديدة ، يطلق عليها البعض ثقافة (القطيع الإلكتروني) أو ثقافة (ماكدونالدز) ، وهي ثقافة تمجد العنف ، والفردية ، والأنانية ، والمادية ، والاستهانة بقيم المجتمعات ، والنزوع التام نحو النفعية والانتهازية"[١٦] .

أما آخر التعريفات التي جمعت أبعاد العولمة دفعة واحدة ، فهو تعريف **للدكتور عبد الوهاب المسيري** ، الذي ميز بين مفهومي : "العولمة فكرة" و "فكرة العولمة" ، إذ أن الأولى "العولمة فكرة" مبنية على السوق والجنس ، أو الإنسان الاقتصادي والإنسان الجسماني ، أما الثانية (فكرة العولمة) فترتكز على أن السوق هو المعيار ، وهو مكان تبادل السلع والأفكار ، إذ تستند العولمة إلى مجموعة من القيم ، هي في الواقع قيم مادية تنفي الخصوصية الإنسانية ، وتنفي الإنسانية

---

(١٥) ما العولمة ، مصدر سابق ، ص ٢٥٧ – ٢٥٨ .

(١٦) عبد الوهاب المسيري : العولمة والشرق أوسطية (دراسة) ، ندوة حزب العمل ، م سابق.

كإنسانية ، وتحاول في ذات الوقت أن تطرح رؤى تدور حول السوق ، تدور حول الكباريه ، والسوبر ماركت ، والسياحة ، وهكذا ، فهي تدور كلها حول الإنسان الاقتصادي والإنسان الجسماني" .

"عولمة تتمثل في "الهامبورجر" و"الكوكاكولا" و"الماكدونالد" و"مسحوق إيريال" وما شابه ، غير أن هذه السلع للمفاجأة ليست أمريكية ، بل وقد تكون يهودية أو بروتستانتية معادية للحضارة الأمريكية ، لذلك فالعولمة تفضل السهل على الجميل ، والحرية على الأخلاق ، والاستسلام والتكيف على المقاومة ، ونجد مظاهر ذلك في استخدام العاميات الآن ، مثل استخدام العامية المصرية على سبيل المثال في الإعلانات والأدب والفكر والمسرح والسينما والأغنية ، بل والخطاب السياسي ، والديني أحياناً بدلاً من الفصحى [١٧]" .

أما تعريف العولمة (*Globalization*) الذي كان يجب أن نبدأ به ، من موسوعة : (***Webster's Nuth Now Colleginic Dictionary*** ***(1991 P 521*** فيقول : (***To Globalize To Make Global, ESP,*** ***(To make Worldwide In Scope Or Application*** .

بمعنى : (هي اكتساب الشيء طابع العالمية ، خاصة بجعل نطاق الشيء أو تطبيقه، عالمياً) ، ولما وجدت الموسوعة في هذا المعنى

---

(١٧) المصدر السابق .

من السطحية والسذاجة مالا ينسجم مع دلالة المصـــطلح ، عمـــدت لتأخيره .

نشأة العولمة وتطورها

لابد من الإقرار ابتداء ، بأن (نظام العولمة هذا – شأنه شأن أي نظام إنساني – لم يولد من العدم اللاتاريخي ، وإنما داخل التشكيل الحضاري والسياسي الغربي ، ويحمـــل معالمـــه ، ويـــدور في إطـــار العلمانيـــة الشاملة)[١٨] ، وبإمكاننا القول أيضاً أن العولمة ؛ عربات تقطرها مصالح الدول الكبرى ، منذ العصر الحجري الحـــديث في حـــروب رومـــا وفينيقية ، (وتحديداً الحرب الثالثة منها) والتي أبيـــدت علـــى إثرهـــا قرطاجنية عن بكرة أبيها[١٩] ، ذلك إن فكرة وجـــود تـــاريخ نشـــأة للعولمة ، تبدو للوهلة الأولى نوعاً من التناقض اللفظي ، فقد صـــورت العولمة في معظم العشرين عاماً الأخيرة ، على أنها حالة مـــن الوقـــت الحاضر والمستقبل ، وعلى أنها ظاهرة ليس لها مـــاض ، تـــرتبط مـــع تكنولوجيات جديدة وغير مسبوقة .

ويعتبر البعض نصف القرن منذ عام ١٧٧٠غ ، تقريباً ، والـــذي انتهى بالثورة الفرنسية وحروب **نابليون** ، كان هو إحدى الفتـــرات المبكرة في تاريخ فكرة التدويل (العولمة) التي قد ترتبط بشـــكل وثيـــق

(١٨) د. عبد الوهاب المسيري : النظام العالمي الجديد : عولمة الالتفاف بدلاً من المواجهة (مقال) ، مجلة المعرفة (عدد ٤٦) ، وزارة المعارف السعودية ، محرم ١٤٢٠ غ ، ص٢١ .

(١٩) إحسان على بوحليقة (عضو مجلس الشورى السعودي): المصدر السابق ، ص ٣٠.

وخاص بعالم اليوم [٢٠] ، فعلى مدى التاريخ ، اقتبست الأمم بعضها عن بعض ، أفكاراً وعلوماً وفنوناً وتقنيات ، واتفقت واختلفت ، وتسالمت وتقاتلت ، وكان لابد من وجود قواعد تنظم التجارة بينها ، ومعاهدات وعهود سياسية وثقافية ودولية وتبادل سفراء وسفارات وزيارات للملوك والحكام والأمراء ، وكل هذه قواعد عامة تنظم حركة العالم منذ قديم الزمان .

ويرى آخرون أن العولمة ، باعتبارها مرحلة من مراحل العلاقات التاريخية للإنسان (ليست ظاهرة جديدة ، بل قديمة قدم التاريخ ، عندما كانت تتصدر حضارة ما ، باقي الحضارات وتقود العالم ؛ وأنه قد حدث ذلك مع مجموع الشرق مرة ، في الصين والهند وفارس وما بين النهرين وكنعان ومصر القديمة ، وحدث ذلك مع الحضارة العربية الإسلامية عندما هيمنت على حضارات الشرق والغرب وأصبحت مركزاً للعالم ومصدراً للعلم ، تنقل إبداعاتها من العربية إلى اللاتينية والعبرية ، وقام بذلك أيضاً مجموع الغرب مرة أخرى ، ثم اليونان والرومان ، ثم الغرب الحديث ، عندما بلغت الذروة إبان المد الاستعماري في القرن التاسع عشر قبل أن ينحسر في القرن العشرين[٢١] ، وقد تجلى هذا المد الاستعماري ، على أيدي الأوربيين

---

(٢٠) د. عبد الفتاح مراد : العولمة والتنظيم الدولي المعاصر ، د.ن ، الإسكندرية ، مصر ، د.ت ، ص ٣٥ – ٣٧ .

(٢١) ما العولمة ، مصدر سابق ، ص ١٧ .

الغربيين ، ثم أولادهم في شمال أمريكا ، في موجات متتالية .

الموجة الأولى : تمحورت حول فتح القارة الأمريكية وتحويلها إلى نظم تابعة ذات طابع طرفي ، فأدى هذا الفتح إلى تحطيم الحضارات الهندية في جنوب القارة وإضفاء روح المسيحية والأسبانية عليها ، كما أدى إلى إبادة الهنود إبادة شاملة في شمال القارة ، وإحلال مستوطنين من أصول أوربية محلهم ، فيما صار بعد ذلك (الولايات المتحدة الأمريكية) .

وبينما الأسبانيون قد تحركوا باسم العقيدة الدينية الصليبية التي فرضوها على شعوب الأقطار المفتوحة ، كان الإنجليز البروتستانت قد استنتجوا من قراءتهم للتوراة – التي كتبها آباؤهم بأيديهم – حق إبادة الكفار وكل من يخالف البروتستانتية ، ثم تلى ذلك استيراد السود الأفارقة وعبوديتهم المرذولة ليحلّو محلّ الهنود من أجل استثمار المناطق المفيدة من القارة .

أما الموجة الثانية : للفتح الاستعماري للكوكب على أيدي الأوربيين ، فقد تجلت في التوسع الذي شمل القارتين الأفريقية والآسيوية خلال القرن التاسع عشر ، من أجل فتح الأسواق التي هيأت لإنجاز الثورة الصناعية ، والتي بلغت بقهرها وظلمها إلى الحد الذي فيه فرضت بريطانيا العظمى على الصين استهلاك الأفيون الذي كان مصدراً اقتصادياً رئيسياً للإمبراطورية الإنجليزية .

ثم أنتج هذا التوسع استقطاباً على صعيد عالمي ، لم يكن لـه مثيـل خلال الألفيات السابقة لتاريخ الإنسانية ، فبينما كان مدى التفاوت في توزيع الثروة بين حوالي ٨٠% من سكان الكوكب ، لا يتجاوز نسبة (١: ٢) قبل الثورة الصناعية ، صارت هذه المعادلة تساوي بعد قرنين من التوسع الاستعماري (١: ٦٠) .

الموجة الثالثة : و يواجهها العالم الآن من التوسع الاستعماري بزغت ملامحه في أعقاب انهيار النظم السوفيتية والوطنيـة الشـعبية في العـالم الثالث[٢٢] .

ويرى د. **حسين كامل بهاء الدين** وزير التعليم السابق في مصر ، تقسيماً آخر لنشأة العولمة فيقول : "إن استعمال تعريف العولمة شـاع بدرجة كبيرة في التسعينيات ... ولكن التعريف كـان شـائعاً منـذ الستينات ، حينما شاع شعار: (فكر عالميـاً ونفـذ محليـاً) (*Think Globally And Act Locally*) ، ولكن المفهوم نفسه يمتد أبعد مـن هذا بكثير إلى القرن الخامس عشر ، ونقلته النوعيـة عـبر الحـدود التقليدية ، حيث بدأت تتبلور إرهاصات العولمة اقتصـادياً وسياسـياً وعسكرياً ، وفرضت انتقالاً غير مسبوق للسلع والمنتجات والأفكـار والتقنيات عبر الحدود وعبر المحيطات .

بينما يرى (**توماس فيردمان**) كاتب العامود الرئيسي في جريـدة

---

(٢٢) ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، مصدر سابق ، ص ٦٦ – ٦٨ .

(نيويورك تايمز) : إن العولمة الحالية هي مجرد جولة جديدة بعد الجولة الأولى التي بدأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

.... وأياً كان الأمر ، فاللافت للنظر أنه في أعقاب كل جولة من جولات العولمة ، شهد العالم حروباً عالمية أو محلية ، وموجات من النزاعات والصراعات وحملات من التطهير العرقي ، وإزهاقاً غير مسبوق لأرواح ملايين البشر ، وازدياداً لمعدلات الجريمة والعنف[٢٣] .

أما الإنجليزي **برتسون** فقد حدد تطور نشوء العولمة في خمس مراحل:

١- المرحلة الجينية في القرون ١٥، ١٦، ١٧.

٢- مرحلة النشوء في القرن ١٨.

٣- مرحلة الانطلاق في القرن ١٩.

٤- مرحلة الصراع من أجل البيئة في النصف الأول من القرن ٢٠.

٥- مرحلة عدم اليقين في النصف الثاني منه [٢٤] .

ولكن المشاهد أن التوسع الذي حدث بعد الموجة الثانية (بحسب تقسيم **سمير أمين**) ، أو المرحلة الخامسة (بحسب تقسيم **برتسون**) ، قد اختلف كثيراً عنهما وعن كل الموجات والمراحل التاريخية الكوكبية

(٢٣) د. حسين كامل بهاء الدين : الوطنية في عالم بلا هوية . تحديات العولمة ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠٠٠ غ .

(٢٤) العرب والعولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص ٣٠ .

السابقة بإطلاق ، إذ قرر الغرب عدم المواجهة ، واللجوء إلى الإغواء ، بدلاً من استخدام الإرهاب ، وجوهر هذا الإغواء يخبر الناس أننا سواسية ، وأن هناك نظام عالمي جديد ، وأن هناك عدل ، وحقوق إنسان وأن العالم قرية واحدة ، تسوده مجموعة من القيم العالمية ، وهذا في الحقيقة ليس أكثر من أكاذيب مثيرة للسخرية ، لأنه من غير المعروف على سبيل المثال : ما هي إسهامات أفريقيا في تقنين هذه الحقوق ، وما مساحة مشاركة المليار من المسلمين في تحديد قيم ذلك النظام العالمي الجديد ، وفي منظومة العولمة الجديدة ؟[٢٥] .

وبقبول هذه الأكاذيب المثيرة للسخرية ، تطلبت العولمة (فتح الحدود ، وفرض نظم فوقية) بأن ترفع الدول يدها عن الحواجز الجمركية ، وحرية انتقال الأموال عبر البنوك ، وحرية تغيير أسعار الصرف ، ورفع الدعم عن المواد الغذائية ، والخضوع لقانون العرض والطلب ، وإنهاء القطاع العام ، والإسراع في خصخصته[٢٦] .

وبذلك تتحقق العولمة ، كتعبير عن المركزية التي كانت دفينة في الوعي الأوربي منذ قرون ، لتستدعي إلى العقول والتاريخ وحركة الإنسان ، تلك العنصرية (العرقية المقيتة) :

- فالأبيض أفضل من : الأسود والأصفر والأحمر والأسمر .

---

(٢٥) عبد الوهاب المسيري : ندوة حزب العمل ، مصدر سابق .

(٢٦) جلال أمين : العرب والعولمة ، مصدر سابق ، ص ١٥٣ .

- استؤصل الهنود الحمر من أمريكا واستراليا .
- وسُرِقَ الأفارقة السود مُساقون كالحيوانات لبناء القارة الجديدة .
- واحتـُل بالغدر والخيانة العالم العربي الإسلامي الأسمر .
- وألقيت أول قنبلة نووية على الجنس الأصفر في اليابان .
- وفي قلب كل أوربي تقبع اليونان القديمة ، وفتوحات الإسكندر الأكبر وانتصاره على الفرس ، وانتشاره حتى الهند ، وعسكرية اسبرطة ، وإمبراطورية روما .
- والبحر الأبيض المتوسط بحيرة أوربية : تسيطر على ضفته الشمالية جنوب أوربا ويسيطر الكيان الصهيوني على ضفته الشرقية في فلسطين ، وتظل أسبانيا محتلة لسبتة ومليلة وجبل طارق .

لكن **د. الشاذلي العياري** ، يري تقسيماً آخر لتاريخ نشأة العولمة ، أقرب زمناً من الرؤى السابقة ، في ثلاثة مراحل متتابعة ومتقاربة جداً :

الأولى : تبدأ مع مشروع مارشال الأمريكي ، الذي هدف إلى إعادة إعمار أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية وظهور البنك الدولي وصندوق النقد الدولي .

الثانية : وهي مرحلة العولمة الإقليمية ، بدأت مع بداية النصف الثاني من عقد الخمسينات بإنشاء سوق أوروبية مشتركة ضمن (معاهدة روما) ونظام نقدي موحد ضمن (معاهدة

ماستريخت)[٢٧] ، ثم استفحلت هذه العولمة الإقليمية ، فعمت أرجاء المعمورة (تحت عناوين مثل (مناطق تبادل حر، واتحادات جمركية، وغير ذلك.

الثالثة : وهي مرحلة العولمة الكونية ، ويمكن اعتبار عام ١٩٨٥ غ بداية لهذه المرحلة ، حين أعلن **جورباتشوف** ثورة البروسترويكا ثم انهيار الاتحاد السوفيتي ، وتلا ذلك هدم حائط برلين في خريف ١٩٨٩غ ، ثم حرب الخليج الثانية التي انتهت في فبراير ١٩٩١غ .

هذه الأحداث الثلاثة الكبرى متتابعة ، هيأت المناخ الأمثل والظرف المواتي للولايات المتحدة ، التربع على عرش النفوذ العالمي ، وتولي مركز القيادة الأحادي .

ونضيف من طرفنا مرحلة رابعة ؛ هي مرحلة تتويج هذه الأحادية القطبية ، وإيجاد المؤسسات المختلفة ، لتحويل العولمة من إطارها الإقليمي إلى إطارها الكوني الشامل ، بإنشاء (المنظمة العالمية للتجارة) في أبريل ١٩٩٥غ بمدينة مراكش المغربية ، التي كانت بمثابة حجر الأساس في بناء صرح العولمة الكونية ، وتأكيد تربع أمريكا على رأس

(٢٧) د. الشاذلي العياري : (مقال) الوطن العربي وظاهرة العولمة . الوهم والحقيقة ، مجلة المنتدى ، التي تصدر عن منتدى الفكر العربي ، عمان ، الأردن ، العدد ١٤٠ ، مايو ١٩٩٧ .

الاقتصاد العالمي ، والذي كلل بعقد أول اتفاق دولي لتحرير المبادلات الخدمية المتطورة ، خاصة تكنولوجيا المعلومات ، في فبراير ١٩٩٧غ .

ثم في مارس ١٩٩٧غ أعلن رسمياً في العاصمة الفرنسية بـــاريس ، انفتاح منظمة حلف الأطلسي على دول شرق أوربا بما فيها روســـيا ، وهو الحدث الختامي الذي أضفى البعد الاستراتيجي لمنظومة العولمـــة ، وتوج الدور القيادي الأمريكي لبعث النظام الجديد بما كان له من خبرة وإنجازات في الأداء الاقتصـــادي والمـــالي والاســـتثماري والتجـــاري والتكنولوجي منذ بدء التسعينات ، مما أعطاها بعداً مرجعياً كنمـــوذج أوحد للأمركة ، أو ولادة العولمة المؤمركة[٢٨] .

لكن وجهة نظر أخرى ، نحسبها متفردة في طرحها ، وموافقة لكل ما سقناه من تعريفات ، ما ذهب إليه **د. قدري حفني** في تحليل دقيق من وجهة علم النفس فيقول : "إذا كان علم النفس يقوم على مســـلمتين أساسيتين :

الأولى هي : أن البشر متشابهون.

الثانية هي : وجود الفروق الفردية بين البشر ، إذ لا يوجد فرد يطابق الآخر .

(٢٨) محمد بن سعيد بن سهو أبو زعرور : العولمة ، دار البيارق ، الأردن ، (ط٢) ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ .

فإن العولمة بالتالي ، (من الناحية النفسية) ترجح المُسـلَّمة الأولى ، وهي بهذا المعنى تعد ظاهرة لها جذورها الضاربة في التاريخ ، وربما نجهد أنفسنا كثيراً لو حاولنا أن نجد فكرة أو نظرية أو دعوة اجتماعيـة ، لا تقوم على محاولة دعوة الآخرين إلى أتباعها ، وعلى ذلك فالسعي لعولمة الآخرين ، هو سعي قديم ، يفشل أحياناً وينجح في أخرى ... وفي هذا الإطار ، فإن العولمة تكون قديمة ، مترسخة في سلوك الجماعـات وفي تنشئة الأفراد[٢٩] ، ومن هنا برز مفهوم العولمة ، لإحكام السيطرة على العالم لصالح "المركزية" التي كانت دفينة في الوعي الأوربي منذ قـرون ضد مصالح "الأطراف" ، واجتهد المفكرون العرب سذاجة ، في ترجمة الهدف الاسـتراتيجي الضـخم : (*Globalization*) ، إلى عولمـة أو كوكبية .

وإمعاناً في الجهالة الأوروبية ، أصبح عندهم كل من يـدافع عـن الخصوصية والأصالة والهوية والثقافـة والاسـتقلال الحضـاري ، في مواجهة الكوكبة (العولمة) : رجعياً ، إظلامياً ، أصـولياً ، إرهابيـاً ، متخلفاً ، ماضوياً ، سلفياً[٣٠] .

---

(٢٩) محمد حسين أبو العلا : مصدر سابق .

(٣٠) ما العولمة ، مصدر سابق ، ص ٤١ – ٤٣ .

ولعل ذلك يرجع إلى تلك الأحداث المتوالية التي كرست فكـرة العولمة لصالح النظام الأمريكي ، وجعلته المهيمن على كثير من المجالات العالمية :

– سقوط النظام الشيوعي ١٩٨٥.
– توحيد الألمانيتين وتهدم حائط برلين الشهير ١٩٨٩.
– قيادة تحالف عالمي لطرد الجيش العراقي من الكويت ١٩٩١.
– ثم طرح فكرة فتح الأسواق بعضها على بعض ، ليكـون الـرابح الأقوى هو صاحب الرأسمال الأكثر ، وصاحب الإعـلام الأقـوى ، ومالك التكنولوجيات الأحدث ...

كل هذا أدي إلى ظهور ما يسمى الأحادية القطبيـة ، أي هيمنـة النظام الأمريكي ، لا لأنه الأحسن ، إنما لأنه أصبح الأوحد[٣١] .

ولضمان هذه الهيمنة ، حرصت الولايات المتحـدة علـى تنميـة استراتيجية شاملة متماسكة ، من خلال دفع قوتها العسكرية الفائقة إلى مقدمة المسرح العالمي ، ولعبت حرب كوسوفو دوراً حاسماً في تقـديم المشروع ، فالحرب رَسَت على تسـليم الـدول الأوربيـة للخطـة الأمريكية ، التي صدق عليها حلف الناتو ، أواخـر أبريـل ١٩٩٩ ، فطبقاً لهذه الخطة التي عرفت باسم نظرية **كلينتون** ، أعطى حلف الناتو

---

(٣١) د. محمد عمر الحاجي : العولمة ، أم عالمية الشريعة الإسلامية ، دار المكتبي ، دمشق ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ ، ص ١٤.

لنفسه ، حق التدخل في آسيا وأفريقيا ، ليصبح تحالفاً هجومياً في خدمة المشروع الأمريكي[٣٢] .

ولا نحسب أنه من قبيل توارد الخواطر ، مع بزوغ نجم تلك العولمة الأمريكية الصنع ، في مطلع عقد التسعينات ، ظهور نظريتين تم تدويلهما بصورة سريعة ومكثفة كما لو كانتا متضادتين ، وكان مصدرهما الأساسي أمريكا :

الأولى : كان رائدها (**صموئيل هنتنجتون**) وعنوانها (صراع الحضارات) ، وتخللت نظريته مقولة : الصراع الحضاري القادم بين الغرب والإسلام.

والثانية : كان رائدها **فوكو ياما** ، وعنوانها (نهاية التاريخ) والتي وصلت إلى خلاصة مفادها ؛ أن الحضارة الغربية قد انتصرت على غيرها ، وأنها هي الحضارة الوحيدة القائمة الآن .

فيعلق **صبحي محمد غندور** مدير مركز الحوار العربي بواشنطن قائلاً : "حسب اجتهادي ، فإن النظريتين تكملان بعضهما بعضاً ، وتستهدفان العالم كله ، وليس فقط الإسلام والمسلمين تحديداً[٣٣] .

---

(٣٢) ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، مصدر سابق ، ص ٦٩ .

(٣٣) صبحي محمد غندور (مدير الحوار العربي في واشنطن) : مجلة المعرفة م سابق ، ص ٢٦ .

وفي عـــالمنا العربي ، يمكن أن نتخذ نشـــأة العولمة في مصر مثـــالاً ، – كـ (حالة تطبيقية) – إذ يؤكد **عبد الوهاب المسيري** أن العولمـــة في جوهرها تعني بالفعل عبادة السهل على حساب الحقيقي الأخلاقـــي ، ونلاحظ أنه بدلاً من الصراع والبقاء للأقوى ، أصبح الأمر الآن البقاء للأسهل ، فهي منظومة مبنية على الإغواء يساعدها في تحقيق ذلـــك ، نخب محلية في العالم الثالث ، تم تغريبها عبر الأجيال السابقة .

ويستشهد **المسيري** على ذلك بقوله : "فعندما نقارن التكوين الثقافي لـــ **سعد زغلول** ، بالتكوين الثقافي لـــ **مصطفى النحاس** بـــالتكوين الثقافي لـــ **جمال عبد الناصر** ، وبالتكوين الثقافي للرئاســـات الآن ، سنجد أن هناك خطاً بيانياً هابطاً باستمرار نحو مزيد مـــن التغريـــب ، يشهد عليه أبناء النخبة الحاكمة الآن ليس في مصر وحدها ، بـــل في العالم العربي كله ، إذ نجدها في حالة سيولة ، تغريب (لا تنصير) .

والتغريب هنا أخطر ، لأنه يعمل داخل مؤسساتنا ربما يشكل أكثر شراسة ، ولأنه يجعل من شعار العولمة طرحاً واقعياً ، في الوهم القائـــل (أننا نعيش في قرية صغيرة تحكمها مجموعة من القيم الواحدة ، وجوهر ذلك أنه ينبغي أن نتاجر سوياً لا نتصارع ، ونتمتع سوياً لا نتنـــازع) لأن جوهر منظومة العلمانية في اعتقاد عبد الوهاب المسيري ، هو مـــا أسمياً : الإنسان الاقتصـــادي والإنســـان الجســـماني ، وفي إعلانـــات التليفزيون المثال والشاهد والمرئي ، بلورة لهذا .

فإعلانات التليفزيون هي محاولة لبيع السلعة من خلال الجنس ، بمعنى التوجه إلى الإنسان الاقتصادي من خلال الإنسان الجسماني ، فنجد أنهم يبيعون لنا المبيدات الحشرية من خلال الشقراوات اللاتي يقفزن ويتراقصن دون أن يكون لذلك أي علاقة بالمبيد الحشري ، وقد أدرك العاملون في قطاع الإعلانات ، أن هذه الخلطة ، لا يمكن هزيمتها ، لأنها تتواءم وتعبر عن هذا النظام العالمي الجديد ، وعن هذه العولمة[٣٤] .

ولذلك تكالبت في العشرين عاماً الأخيرة من القرن الصليبي[٣٥] العشرين ، وبكثافة شديدة ، في محافلنا السياسية ، وهيئاتنا الاقتصادية ، ومنتدياتنا الفكرية ، وأنديتنا الاجتماعية والثقافية ، عشرات المؤتمرات الدولية والإقليمية والمحلية ، عن الإعلان والتسويق ، وهي جديدة تماماً

---

(٣٤) عبد الوهاب المسيري : (ندوة) ، مصدر سابق .

(٣٥) ألفت النظر إلى أن الذي تعمل به بعض الدول العربية ، والمعروف خطأ بالتقويم الميلادي ، هو التقويم الذي فرضته الدول الغربية التي جاءت في كنف الحروب الصليبية واحتلت بلادنا ونهبت ثرواتنا وتآمرت على عقيدتنا بعد أن وهنت عظام دولة الخلافة ، وقد عُمل به في مصر منذ عام ١٨٨٢ ص فقط ، وقبل ذلك لم يكن أهل مصر يعرفون غير التقويم الهجري الذي يرتبط بعقيدتهم ودينهم .
كما ألفت النظر إلى أن التقويم الصليبي المعروف خطأ بالتقويم الميلادي ، لا علاقة له بميلاد المسيح عليه السلام ، الذي تؤكد جميع المصادر الكنسية وباتفاق بينها ، أنه عليه السلام وُلد قبل هذا التقويم بأربعة أعوام ، والأكثر من ذلك ، أن مئات من الكنائس الصليبية في العالم وعلى رأسها الكنيسة المصرية ، لا يعتدّون بهذا التقويم ، إنما يتعاملون بحسب التقويم الفرعوني ، المعروف بالتقويم القبطي (نسبة إلى مصر وليس إلى النصرانية ، كما هو مشهور خطأ) ، وعليه فإنني أرى أنه ليس صواباً أن نستخدم غير التقويم الهجري في بلاد المسلمين (وأعترف بما سوف نلاقيه من صعوبات لتحقيق ذلك) ، أما الخطأ الآخر ، أن نسمي التقويم المعمول به الآن على أنه الميلادي، بغير اسمه العلمي الحقيقي وهو: التقويم الغربي ، وهو الصواب ، وأن نرمز له اختصاراً بالحرف (غ) أو (ص) وليس (م).

على البيئة العربية ، نظمها الطابور الخامس المتمثل في منظمات روتاري وليونز الماسونية ، وجمعيات رجال الأعمال ، وبعض أساتذة الجامعات والمعاهد التعليمية والبحثية الغربية المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، وكذا بدعم من المنظمات الحقوقية (الإنسان ، المرأة ، الطفل ، التنمية ...) ، التي هي ابتداءً ، جزء من منظومة العولمة .

وتجاوزاً لكل الآراء التي وردت حول نشأة العولمة وتطورها ، فإننا نجد أنها قد أغفلت واحداً من أهم وأرسخ مفاهيم العولمة ، وهو نشأة العولمة بحسب التأريخ الموضوعي للأمم ، الذي احتل فيه الإسلام موقعاً غير مسبوق ، فيقول **د. أحمد محمد علي** رئيس البنك الإسلامي للتنمية بمدينة جدة : "إن التحليل التاريخي يجعل ظاهرة العولمة قديمة ، يعود تاريخها وفق الفهم الغربي ، إلى القرن السادس عشر ، إلا أن الإسلام عالج قضية العولمة منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً .

وعلى صعيد أخر يربط بعض المفكرين الغربيين (خطأً) ظاهرة العولمة بنشأة الرأسمالية الصناعية ، وحصرها في فترة بزوغ هيمنة اقتصاد السوق الغربية ، (وذلك) مقابل عملية العولمة الأكثر شمولاً وإنصافاً ، التي يمكن العثور على أصلها في العديد من الآيات القرآنية الكريمة ، مثل قوله تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ

ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (النساء) . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (الأعراف) . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (يونس) .

وهذا الفهم يعود بنا إلى شمولية الدعوة الإسلامية وديمومتها ، وأن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، قد جاءت للناس كافة ، كنقلة جديدة بالعالم كله ، وتحولاً في الوحي الإلهي على ظهر الأرض ، بعدما كان الوحي يترل على الرسل السابقين في بقعة من الأرض لإبلاغ رسالات السماء إلى أمة من الأمم ، فجاءت الرسالة الخاتمة لكل من يسمع ويعقل من البشر كافة ، فضلاً عن أنها أصبحت شريعة الله في الأرض ، تسير مع الزمن أينما سار وحيث اتجه ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[٣٦] .

(٣٦) د. أحمد محمد علي : العولمة في المنظور الغربي ونظيره الإسلامي (مقال) ، مجلة العالمية ، الكويت ، رجب ١٤٢٣ هـ - سبتمبر ٢٠٠٢ غ .

الجذور الفكرية للعولمة

يقول **عبد الرحمن أبكر الياسين** : إن العولمة لم تكن حديثة الفكرة ، بل توالت عليها ظروف وأحداث زمانية ، وحداثة فكرية ومعرفية ، حتى ألبستها ثوباً حركياً منسوجاً بنسيج العصر وتقنياته المتسارعة .

فقد قامت الحضارات الإنسانية منذ القدم على معطيات برزتها دوافع نفعية بذلت فيها جهود ، فتحت الباب أمام فكرة جديدة تغزو الوضع التقليدي القائم ، لتجدد مناهجه وتهيئته على مسرح النشاطات الحياتية ، بتفاعل عناصر أدائه .

وهكذا فإن العولمة لم تكن حديثة العهد ، ولكنها مثلها مثل ظواهر الحياة الاجتماعية ، نتاج عوامل زمانية ومكانية أملتها ظروف معاشية ، مكنتها من البروز على حساب القائم التقليدي ، بعد مخاض فكري لزمن طويل[٣٧] .

ذلك أنها نتاج تراكمات ونظريات بشّر بها الفكر العالمي بعد الحرب العالمية الثانية ، رافعاً صيحات مبدأ الاقتصاد العالمي الموحد ، ثم انشطرت لتشمل نواحي حياتية كثيرة[٣٨] .

---

(٣٧) اللواء عبد الرحمن أبكر الياسين : العولمة ، والأمن ، دار طريق للنشر السعودية ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ غ ، ص ٣١ .

(٣٨) المصدر السابق ، صفحة ٩ .

ولأنه أيضاً لا يوجد مسار واحد لجميع الثقافات ، حيث أن الثقافة تعبير عن مرحلة تاريخية بعينها ، تتشكل في إطار الوعي التاريخي لأمة - أي أمة - ومن خلاله تتعدد المسارات بتعدد هذه الثقافات عبر التاريخ[٣٩] . فإذا أراد أصحاب ثقافة ما أن يجعلوا لها السيادة على ما عداها من ثقافات ، فإنها بتلك الإرادة تصبح أيديولوجية .

وفيما يعرف بعصر فلسفة الأنوار ، أُعلن مبدأ يقول أن (الأيدولوجيا السائدة ، تقوم على مقولة مفادها : أن هناك تلاقياً يكاد يكون تلقائياً ، بين النتائج المترتبة على ما يسمى بفعل آليات السوق من جانب ، وبين ميول الناس المعبرة من خلال ممارسات الديمقراطية السياسية من الجانب الآخر .

ووفقاً لمفهوم هذه الفلسفة للعقلانية ، يُفترض أن تُحكم ممارسات الفرد الحر في جميع مجالات الحياة الاجتماعية ، على شرط أن يتمتع هذا الإنسان الحر ، بحرية مزدوجة ، تخص مجال المبادرة الاقتصادية من جانب ، كما تخص مجال الخيال السياسي من جانب آخر[٤٠] .

ويقول **عبد الوهاب المسيري** : "إن مسألة العولمة - التعميم - هي جزء من منظومة فكر الاستنارة الذي كان يدور في إطار الإنسان العالمي ، الأممي ، بالقضاء على الخصوصيات تدريجياً حتى نصل إلى نوع من الإنسانية العامة ... وهذه الفكرة ، متجذرة في الفكر المادي ، لأن الفكر

---

(٣٩) د.حسن حنفي : ما العولمة ، مصدر سابق ، ص ٣٤ .

(٤٠) ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، مصدر سابق ، ص ٦٤ .

المادي بطبيعته ، فكرٌ نحو القانون العام الذي لا يميز بين ما هو إنساني وما هو غير إنساني ، فالعولمة ، كامنة في منظومة الاستنارة والفكر المادي بشكل عام(٤١) .

لكن اتجاهاً فلسفياً واقعياً ، يرى أن المثل الليبرالية ، مثل الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وحقوق المرأة والمجتمع المدني ، هي مُثُل مشتركة بين جميع الثقافات لا عموم فيها ولا خصوص ، وكلها مُثُل براقة ، لكنها أقرب إلى أساطير الأولين ، كل منها كلمة حق يراد بها باطل ، تُبطن غير ما تُظهر ، وتخفي غير ما تعلن(٤٢) .

ولأن العولمة (على هذا المستوى الثقافي) ، تبشر بعالم واحد تسوده ثقافة واحدة ، تحمل مفاهيماً وقيماً واحدة ، من شأنها القضاء على التمايزات الثقافية والحضارية بين الأمم المختلفة ... فإنها تعني سيادة وهيمنة ثقافة واحدة وقيم واحدة ؛ هي سيادة وهيمنة الثقافة والقيم الأمريكية على العالم كله .

وبالتالي ، فعولمة الثقافة على الحقيقة ، هي هيمنة قهرية تهدد بصورة أكبر دول العالم الإسلامي الذي تسوده ثقافة وقيم ، تختلف تماماً عن تلك التي تسود في الولايات المتحدة ، والتي تعكس في أغلبها قيم الانحلال الديني والأسري ، وتروج لقيم النفعية الذاتية ، وأن الحرية الشخصية لا قيود عليها ، وهذه القيم مستمدة من الفلسفة البراجماتية التي تحكم المجتمع الأمريكي(٤٣).

---

(٤١) عبد الوهاب المسيري : ندوة حزب العمل ، مصدر سابق .
(٤٢) ما العولمة ، مصدر سابق ، ص ٢١ – ٢٢ .
(٤٣) د.محمد عمر الحاجي: العولمة، أم عالمية الشريعة الإسلامية، مصدر سابق، ص٣٩.

قد تختلف أساليب (العولمة) ومحاولات نشرها من عصر إلى آخـــر ، لكن يبقى الهدف عند دعاتها ... هو تقنين العلاقات داخل المجتمعات ، على أساس أوضاع ثقافية وسياسية واقتصادية تصون قوانين (الرأسمالية) ووجودها ودورها[٤٤] ، فإن جوهر العولمة هو :

١– انتشار المعلومات، بحيث تصبح مشاعة بين الناس.
٢– تذويب الحدود الدولية ، مما يضرب فكرة سيادة وطن أو القومية .
٣– زيادة معدلات التشابه (الثقافي) بين الجماعات والمجتمعات[٤٥] .

يقول **حسن حنفي** : ذلك أن المدخل الثقافي لتأصيل قضية العولمـــة هو المدخل الطبيعي ، باعتبار أن العولمة بالنسبة للمثقفين ، هي موقـــف من الهوية الثقافية ، قبل أن تكون هيمنة اقتصادية أو تبعية سياســـية ، وهي جزء من آليات الدفاع عن الذات في مواجهة الآخـــرين ، إثباتـــاً للأنا ضد سيطرتهم[٤٦] .

لكننا نحسب أن **حسن حنفي** إنما قصد المدخل الفلسفي لا الثقافي ، إما لأن الثقافة عنده – كأستاذ للفلسفة – يمكن أن تحل محل الثقافـــة ضمناً ، أو أن نذهب نحن خلاف ما ذهب ، لكون أن المرتكز الـــذي

(٤٤) صبحي محمد غندور ، مصدر سابق .
(٤٥) د. عبد الفتاح مراد : مصدر سابق ، ص ١٠ .
(٤٦) ما العولمة ، مصدر سابق ، ص ٢٢٧ .

أكدت عليه كل الأطروحات التي تناولت البحث في أصول ومبـــادئ العولمة ، كان خليطاً من المادية والبراجماتية والنفعية والواقعية ، وكلـــها فلسفات لا ثقافات ، رسخت لعبودية المنفعة العملية (كإله) تنعدم الحياة بدونه .

ولأن المنفعة العملية عندما تكون هي المعيار الأوحد والقانون الأسمى للحكم على الأشياء ، فإن ذلك يؤول في التطبيق العملي – في أبســـط صوره النظرية – إلى إحلال المصالح الخاصة (جداً) ، محل المبادئ والقيم التي تحكم الأمور والمصالح العامة (جداً) ، فذلك هو المبـــدأ الشـــمولي الذي يمكن أن نقرر باطمئنان شديد ، أنه المعيار السياسي والأخلاقـــي والقيمي والاجتماعي والثقافي بل والعسكري ، الذي انطلقت منه كل فلسفات العولمة بمختلف أصولها ومنابعها غير الإسلامية .

وفي ترجمة لمقال كتبه **هنري كيسنجر** وزير الخارجيـــة الأمريكـــي الســـابق ، جاءت أفكاره متسقـــة مع هـــذا الطرح البراجماتي النفعي – المتوحش – الذي يمكن أن نوجزه في العناوين التي تصدرت المقال ، فملخصه على الوجه التالي :

– العولمة نظام يشهد على نجاح الولايات المتحدة الساحق.
– انسحاب رأس المال السريع في الدول المضيفة ، يعرضها لانتكاسات خطيرة.
– العولمة تعمل على تجزئة الاقتصاد في الدول النامية.

- تزكية التطرف السياسي لزيادة الفجوة بين الأغنياء والفقراء.
- سحب الاستثمارات من الدول النامية إلى حيث الضمانات الأكثر والربح الأوفر.
- دمج الاقتصاديات الناجحة في العالم وإلحاقها بركب الاقتصاد العولمي[٤٧] .

وعلى ضوء هذه العناصر الستة التي طرحها **كيسنجر** ، تعددت المدارس الفكرية ، التي عالجت بالوصف والتحليل ، تطبيقاته كمنظومة للعولمة ؛ اخترنا منها مدرستان ، يمكن أن يمثلا مساحة كبيرة من المعايير العولمية في صورها التطبيقية .

❋ المدرسة الأولى : ترى أن هذا التطبيق في جانبه السياسي ، والذي تبنته الفلسفة الأمريكية البراجماتية (النفعية) ، إنما يعني اختزال طاقات شعوب العالم من خلال العولمة ، إلى طاقة دفع لماكينة الحياة الاستهلاكية للنخب المسيطرة ، بابتعاث أشد الرغبات سعاراً في نفوس البشر ، في نفس الوقت الذي يتم فيه إغراؤهم بتحطيم كل المبادئ والقيم .

لكن المشكلة التي وقعت فيها مركزية العولمة في هذا التطبيق ، أن هذه المبادئ النفعية البراجماتية تصنع إطاراً إلهائياً لمضمون عبثي ، فالعولمة

---

(٤٧) هنري كيسنجر ، ترجمة أمل الشرقي : أسرار العولمة (مقال) ، جريدة العرب اليوم (عدد ٩٤٩) ، الأردن ، ١٩٩٩/١٢/٢٣ .

هنا تركز على تلبية المصلحة والمتعة واللذة ، بدلاً من أن يرهق أصحابها أنفسهم في الإجابة عن الأسئلة المصيرية للإنسان :

- من أين جئنا ؟ وإلى أين نذهب ؟
- وهل الله موجود أم غير موجود ؟
- ما العدالة ؟
- ما القواعد التي تحكم علاقة الإنسان بالآخرين؟[٤٨] .

ولأن الاستقرار السياسي هو الضمان لمركزية هذه العولمة حتى لا تأتي بقرار فوقي أو بانقلاب ، ثم يطيح بها انقلاب آخر ، تَطَلَّب ذلك قدراً كبيراً من الحرية والديمقراطية والتعددية الحزبية ، غير أن الواقع الفعلي يشهد بغير ذلك[٤٩] .

فإذا ما انتقلنا إلى التطبيق في جانبه المعلوماتي ، فإن التقدم التقني يظل سراً عند مبدعيه في المركز ، ولا يُنقل إلى الأطراف إلا امتداداً للمركز وحضوراً فيه ، واحتكار التقنية لا يقل أهمية عن احتكار السوق، ويتم ذلك تحت شعار براءات الاختراع وكأن الذهن البشري وقدراته الإبداعية ملكٌ للأفراد[٥٠] ، الذين يصبون معارفهم في "المركز" وحده .

---

(٤٨) محمد مبروك : ندوة حزب العمل ، مصدر سابق .
(٤٩) عزمي بشارة : إسرائيل والعولمة ، بعض جوانب جدلية العولمة إسرائيلياً ، صفحة ٢٨١ .
(٥٠) ما العولمة ، مصدر سابق ، ص ٢٥ .

ثم يأتي التطبيق في جانبه الثقافي ، فنجد شيوع أنماط الاستهلاك الغربية وقيمه ، للترويج للصناعات والمنتجات الصناعية ، وتصور الحياة على أنها متعة ورفاهية ، فالعولمة لها ثقافتها ، وهي ثقافة غير مكتوبة ، قيمتها مبثوثة عبر الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية ، بل وعبر أساليب الحياة اليومية ، في الطعام والشراب والكساء والمواصلات والهاتف والتلفاز ونظم التعليم وفرص المعرفة باللغات الأجنبية وطوابير الهجرة على أبواب السفارات الأجنبية الصناعية ، أي ثقافة التدويل ، لأن الإنتاج الثقافي وتوزيعه أصبح الآن بيد الشركات الكبرى[٥١] .

وتصبح ثقافة العولمة ، هي ثقافة الكسب السريع ، والإيقاع السريع ، والتسلية الوقتية ، وإدخال السرور على النفس ، وملذات الحس ، وإثارة الغرائز ، وثقافة (الجريء والجميلات) و (دالاس) حتى أصبحت العولمة هي الاسم الحركي للأمركة[٥٢] .

❁ المدرسة الثانية : يمثل رؤيتها **الدكتور عبد الوهاب المسيري** فيقول : في المرحلة السابقة عن عام ١٩٦٥ تقريباً وليس تحديداً ، تمكنت الحضارة الغربية من فرض نفسها على العالم ، ومن ثم لم يكن فكر العولمة هذا في صالحها ، فتبنت الفكر الليبرالي الذي يعتمد على الخصوصية القومية وتفوق الإنسان الغربي ، ثم بعد عام ١٩٦٥غ ،

---

(٥١) المصدر السابق ، ص ٢٧ .
(٥٢) عبد الإله بلقزيز : العولمة والهوية (دراسة) ، العرب والعولمة ، مصدر سابق . صفحة ٣٠٩ .

حدث انتقال كبير في هذه الحضارة ، وهي الحالة التي أسميها بالانتقال من مرحلة الصلابة إلى مرحلة السيولة ، بمعنى أن الحضارة الغربية التي كانت واثقة من نفسها تماماً ، فقدت هذه الثقة ، وبعد أن كانت متمركزة حول نفسها ، فقد فقدت هذا التمركز حول الذات .

ويعود ذلك لأسباب عديدة، نوجزها فيما يلي :

١-على المستوى العسكري : أدت مرحلة الحرب الباردة إلى إرهاق الكتلتين العظميين ، حتى سقطت واحدة ، والأخرى أصابها الإجهاد .

وبسبب الإنفاقات الضخمة من ناحية أخرى ، فإن هذه المنظومة العلمانية الجديدة ، التي كانت مُوَجَهَةً لهذا الإنسان الغربي نحو اللذة ، انتقلت هي الأخرى من مرحلة السيولة ، وبدلاً من تطورها إلى حالة الرغبة في إنشاء حضارة تسود العالم ، ارتدت به لينغلق على ذاته ، غير قادر على مفارقة المتعة والبحث الدائم عنها، ومن ثم أصبحت القوات العسكرية الغربية غير قادرة على الدخول في حروب ، حتى أنهم عندما أمروا جنودهم للمشاركة في حرب الخليج الأخيرة ، إنما كانوا يؤكدون لهم أنهم لن يحاربوا ، وأصبح الهَمّ الأكبر هو الاستغناء عن الجندي ، والاستعاضة عنه بالتكنولوجيا العسكرية .

٢-وعلى المستوى الثقافي نجد أن الهيمنة الغربية الثقافية بدأت في

التراجع ، ولم يعد النموذج الغربي جذاباً ، لا بشخصه الرأسمالي ولا بشخصه الاشتراكي ، فالأول في أزمة والثاني قد انهار ، وإلى جانب هذا ، فقد أدرك الغرب أشياء مهمة ، وهي أن عناصر من عناصر العولمة الحقيقية ، أدت إلى مخاطر جمة ؛ مثـل الإيـدز والإنترنـت والبيئة ... ، وكلها مشاكل ذات طابع عالمي وليس محلي .

كما أن سهولة التعامل مع النخب المحلية (طابور خامس) في البلاد الأخرى واستعدادها للتعاون معها في تحقيق أهدافها وأطماعهـا ، كان أرخص كثيراً من الدخول في أي حروب ، مع هذه البلاد .

٣-أما على المستوى الاقتصادي فقد حدث تراجع بظهـور مراكـز اقتصادية أخرى قوية مثل الصين والنمور الآسيوية التي تم القضـاء عليها مؤخراً من خلال تجارة العملة[٥٣] ، وإذا كانت آثار العولمـة تبدو ظاهرة في إحداث تغيرات في الحياة المادية وهياكل الإنتاج التي تحدد نوعية السلع والخدمات التي تنتجها وتستهلكها المجتمعـات البشرية من ناحية ، وإحداث تغيرات في الهياكل المالية التي تنشـئ نوعاً من أشكال السيطرة على البنوك المحلية ، فإنها – العولمـة – تمارس دوراً أكثر خطورة على مستوى ثالث ، ألا وهو التـذوق والسلوك والمشاعر بل وعلى المدركات والمعتقدات والأفكار .

فعلى حين أن التنوع الثقافي مازال قائماً ، إلا أن مشاعر وتوجهات

---

(٥٣) ندوة حزب العمل ، مصدر سابق .

وسلوك الكائن الفرد ، أخذت في التأقلم مع مقتضيات العولمة[٥٤] .

ويرى د.**محمد عمر الحاجي** ، إنه : "في العالم اليوم مؤيدون ومعارضون لمسألة العولمة ، ذلك أن الخلاف في حقيقته ، هو خلاف على الأمور الاقتصادية بالدرجة الأولى" ، غير أننا نرى أن هذا القول يجانبه كثير من الصواب ، لأن استبعاد الجانب الثقافي والعقدي من مذهبية العولمة ، هو إخفاء أو إغفال الوجه القبيح لهذه المنظومة ، التي هي فكرية في جذورها ، ولم تغفله القوى العالمية المعارضة للعولمة ، إذ طرحت عشرة أسباب لرفض هذه المنظومة ومواجهة دعاتها والمروجين لها .

- خمسة من هذه الأسباب تتناول الجانب الاقتصادي وهي :

١-هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على اقتصاديات العالم .

٢-التحكم في مركز القرار السياسي وصناعته ، لخدمة مصالحها وأمنها .

٣-مضاعفة فرص المجموعات الأقوى التي تسيطر على عناصر القوة الاقتصادية والعلمية والتقنية وغيرها .

٤-زيادة الدول القوية غنىً ، بينما تزداد الدول الفقيرة فقراً .

(٥٤) مجموعة باحثين: ندوة العولمة ، جمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ليبيا ، ١٩٩٨/٤/٦ ، بحث د.ابراهيم نصر الدين ، ص ٣٤ – ٣٨ .

٥-تعميق التناقض بين المجموعات البشرية ، وبلورة استراتيجيات فعالة وناجحة لإثارة الصراعات على المصالح بين هذه المجموعات .

- أما الأسباب الخمسة الأخرى ، فكلها تتجه نحو خطورة العولمة على عقائد الشعوب وهويتها الذاتية وهي :

٦- إلغاء النسيج الحضاري والاجتماعي للشعوب .

٧- تدمير الهَويَّات القومية والثقافة القومية للشعوب .

٨- اختراق القوميات والقيام بتفتيت الدول والكيانات .

٩- القضاء على الهوية الثقافية والقومية، وعلى تراث الأمم والشعوب الفكرية والحضارية .

١٠-فرض السيطرة السياسية والثقافية ، كنوع جديد من الاستعمار ، أبشع لوناً وأشد خطراً وأبلغ ضرراً مما سبق من أنواع الاستعمار التي عرفها العالم[٥٥] .

ومن أدبيات طرفي الصراع ، الداعين للعولمة والمناهضين لها ، يمكن الاتفاق أن للعولمة وجهين : أحدهما وردي اللون ، والآخر بلون (القار) .

فنرى على صفحة الوجه الأول ، نظاماً يرتدي ثوباً أبيضَ فضفاضاً ، ووجهاً وديعاً بديعاً ، وجسداً ممشوقاً ، يسبح في بحر من عسل ، وبحر من لبن ، ونعيم مقيم ، وعيش رغيد ، وحياة كلها حبور وسرور ،

(٥٥) د. محمد عمر الحاجي : العولمة ، أم عالمية الشريعة الإسلامية ، مصدر سابق ، صفحة ٣٢ .

حيث الرخاء والأمن والأمان والاستقرار ، تشبع الجائع ، وتغيث الملهوف ، وتلبي الشهوات ، وتستجيب للرغبات ، وتحقق الأحلام ، وحرية مطلقة للسمع والبصر والفؤاد ، والحركة والسكون ، واليد واللسان ، عدالة في التوزيع ، ومساواة في الحقوق ، وثقافة بلا حدود ، وما لم يسعفنا التعبير عنه من كل ما يحبه الإنسان .

فإذا ما انتقلنا إلى الوجه الآخر ، فإذا بنا نُصدم وترتعد فرائصنا ، خاصة والحال شاهد على الإجرام الممارس على أرض الواقع من قادة هذه العولمة المتوحشة ، فالشر بأوسع معانيه ، والحياة بكل منغصاتها ، والجحيم بأقبح صوره ، والذل بأوسع أبوابه ، وضنك العيش بكل درجاته ، تزيد الجائع جوعاً ، وتزيد البائس بؤساً ، وتريح المريض بالموت ، والتنمية هي تكريس التخلف ، والتقدم هو الجاهلية والتحلل ، والطعام والمسكن والملبس بالقروض والفوائد الربوية ، ومن ثم السجون لعدم القدرة على السداد ، فالثقافة ثقافة القوى ، والدين دينه ، والإله هو إلهه ، والحضارة حضارته ، فالكل في واحد ، والواحد له الكل[٥٦] .

ويؤكد **د. قدري حفني** ، أن المتأمل في ظاهرة العولمة بمعطياتها الراهنة ، يجعلنا لا نستطيع أن نغفل ذلك التفسير الصهيوني للديانة اليهودية ، والذي قام عليه الكيان الصهيوني ، ويمثل رؤية انغلاقية

---

(٥٦) محمد بن سعيد بن سهو أبو زعرور: مصدر سابق، صفحة ٢٢- ٢٤ بتصرف شديد.

مناهضة للعولمة من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، تلك العلاقة التاريخية التآمرية الوثيقة ، بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني ، والتي تطرح هذا الكيان في الوعي العربي كرأس حربة للعولمة ، بحيث أن من يقف ضد الكيان الصهيوني فهو يقف بالضرورة ضد العولمة ، ومن يتردد في الوقوف معها ، فإنما يفتح الباب للكيان الصهيوني ، ولذا – يقول د. قدري – إننا إذا أردنا الوقوف في وجه العولمة عربياً ، فينبغي أن تتسع هذه الرؤية لتناقش دور الكيان الصهيوني وعلاقته بالعولمة وموقفه منها[٥٧] .

وبفهم شمولي فإن ولادة فكرة النظام الدولي الجديد ، أدت إلى محاولات : جعل الرأسمالية ديناً للشعوب والأمم ، هي الميزان في العالم ومرجعيته ؛ سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، وكذلك ثقافياً ودينياً .

لذا ، وجدنا أن الخبراء في أمريكا وأوروبا ، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، يوجهون أنظارهم إلى الإسلام ، كقوة رافضة لهذا الدين المادي ، بعين الغدر والحقد والثأر القديم ، ومن هنا جاءت التصريحات والتلميحات إلى أن العدو الوحيد اليوم للغرب هو : الإسلام[٥٨] .

---

(٥٧) محمد حسين أبو العلا : مصدر سابق .
(٥٨) د. محمد عمر الحاجي : العولمة ، أم عالمية الشريعة الإسلامية ، مصدر سابق ، صفحة ٤٠ .

ومن ثم جاءت التركيزات الثقافية على وضع (أمريكي — أوربي) ، في دول العالم الإسلامي ، خاصة في دول الخليج ، لتطرح – وعن طريق العولمة – كل ما ينافي الإسلام ويسقطه .

وتتجلى الحملة الأمريكية لمحاولة القضاء على الإسلام ، في شعارات أربعة هي في الواقع تمثل جوهر الرأسمالية وحقيقتها ، وهي :

١– الديمقراطية: التي هي حكم "الشعب" لـ "للشعب" ، أي أن المُشَرِّع هو "الشعب" وليس "الله" عز وجل .

٢– التعددية السياسية: وهي في واقعها تعني تعدد الأحزاب ضمن عقيدة واحدة هي عقيدة الرأسمالية ، وهي استقلال الدنيا عن الدين.

٣– حقوق الإنسان: التي تلقى رواجاً بين سكان العالم بما فيهم بعض المسلمين ، نتيجة ما يلاقونه من ظلم واضطهاد من حكامهم ، وحقيقة هذا الشعار مبنية على حريات أربع وأهمها : الحرية الشخصية ، وحرية العقيدة ، وكلاهما منافي للإسلام .

٤– سياسة السوق: والتي تعني تطبيق حرية التملك على علاقات التجارة بين الدول[٥٩] .

وفي ضوء هذه المرتكزات القيمية والفكرية لمنظومة العولمة ، تتولد نتائج أكثر شراء من المنظومة نذكر منها :

---

(٥٩) محمد بن سعيد بن سهو أبو زعرور: مصدر سابق ، صفحة ٤٤-٥٤ .

- عدم تحقيق استقرار دولي .
- الإبقاء على حالة الصراع الدائم بين الكيانات الأممية .
- إثارة القلاقل والحروب بين الأمم ، لاسيما أو بالتحديد في العالمين الإسلامي والعربي .
- تفجير المشكلات الحدودية بين هذه الدول ، لتكون دائماً بؤر توتر وقنابل موقوتة جاهزة للتفجير .
- الحيلولة دون عودة الإسلام إلى واقع الحياة في أي دولة من دول المسلمين أو خارجها ، كما حدث في إيران ، ثم في الدول التي تفككت من إمبراطورية الدب الأحمر بعد سقوطه ، وكما حدث مع السودان ، ثم أفغانستان ، ومؤخراً العراق الذي قيل إنه يدعم النشاط الإرهابي (الإسلامي) في المنطقة ، فأوجدوا له ستاراً تحت شعار تطهير المنطقة من (أسلحة الدمار) في الوقت الذي يدعمون فيه ترسانة أسلحة الدمار الشامل في فلسطين المحتلة لحساب الكيان الصهيوني المحتل[٦٠] .

ويشهد الواقع المؤلم الراهن لسياسة العولمة الأمريكية الأوروبية الصهيونية المسيحية ، تجاه العالم كله وتجاه المسلمين بشكل خاص ، على ما تهدف إليه هذه العولمة في العالم الإسلامي ، وهو ما يلي :

١ – إحكام سيطرة أمريكا على اقتصاديات العالم الإسلامي .

---

(٦٠) المصدر السابق ، ص ٤٨ .

٢- تثبيت الأنظمة الرأسمالية الثلاث : الشركات المساهمة ، النقد الورقي الإلزامي ، نظام الربا المصرفي .

٣- تذويب الثقافة الإسلامية وحضارتها ، بفرض فكرة فصل الدين عن الدنيا ، والحط من شأن التقاليد والعادات الإسلامية والتراث .

٤- فرض نوع جديد يمكن أن نسميه ؛ استعمار القرن ٢١ ، في بلاد المسلمين .

٥- ضمان استمرار حالة عدم الاستقرار في دول العالم الإسلامي ، والإبقاء على وجود بؤر توتر وخلافات حدودية بين دوله ، لإثارة الفتن والحروب فيما بينهما كلما اقتضت الحاجة .

٦- الحيلولة دون عودة الإسلام إلى واقع الحياة ، وعدم إتاحة الفرصة لمبدأ الإسلام ، أو البروز العالمي من خلال دولة ، أو تقوم على أساسه ، أو تسعى إلى تولي الصدارة العالمية ، والتأثير على الموقف الدولي ، على اعتبار أن الإسلام هو المبدأ الوحيد الباقي واقعياً - بعد انهيار الشيوعية ومنها الاشتراكية - والقادر على وضع معالجات لمشكلات الإنسان والحياة[٦١] ، وبناء على ذلك - يقول **د. محمد عمر حاجي** - فإن المسألة باتت تنحصر بالصراع بين الرأسمالية والإسلام[٦٢] .

---

(٦١) محمد عمر الحاجي : العولمة ، أم عالمية الشريعة الإسلامية ، مصدر سابق ، صفحة ٤١ .

(٦٢) المصدر السابق صفحة ٣٩ .

مذهبيات العولمة وأشهر رجالها

يختلف المتكلمون في العولمة ، بين من يدافع عنها – لما تمثلـــه مـــن فرصة استثنائية ، يمكن إذا استغلت أن تخرج بالمجتمعات (الدولية عامة والعربية خاصة) من حلقة الاستبداد والقهر والتخلف – وبين من يقف ضدها باعتبارها أداة جديدة للهيمنة الدولية ، وإن اختلف هؤلاء حول أشكال مواجهتها ومناهضتها والتصدي لها .

ويتساءل المرء عن حقيقة هذه العولمة : هل هي فعلاً فرصة للتحرر من السجون القومية الرثة ؟

أم هي تجديد لنظم الهيمنة الدولية وللعلاقات الإمبريالية ؟ .

فإذا جاز لنا أن نسمي هذه الرؤى المتعددة بتعدد المذهبيات الفكرية والعقدية ، تكتلات مذهبية ، فيمكن حصرها في المذاهب التالية :

- ليست العولمة هي المنشئة لسيطرة ثقافة على ثقافة أخرى ، ولكنـــها منشئة لنمط جديد من السيطرة الثقافية ، وليس للثقافات الأخرى ؛ أي مستقبل بالفعل ، إلا إذا أدرك أصحابها طبيعة هذا النمط الجديد من السيطرة الثقافية وآلياته [٦٣] .

---

(٦٣) برهان غليون : ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، مصدر سابق ، صفحة ٤٧ .

- العولمة هي تحول العالم إلى رهينة في قبضة حفنة من كبار المضـــاربين الذين يتاجرون بالعملات والأوراق المالية ، مســـتخدمين مليـــارات الدولارات التي توفرها البنوك وشركات التأمين وصناديق الاستثمار والتأمين والمعاشات[٦٤] .

- إن العولمة لم تأت بجديد ، وليست شيئاً جديداً ، لأنها شـــكل مـــن أشكال الاستعمار ، أو موجة من موجات التوســـع الاســـتعماري القديم ، والفرق بين المشروعين الاستعماريين القديم والجديـــد ، أن الجديد يعمل في إطار ظروف مغايرة ، وأن الخطاب الـــذي يغطـــي المشروع ليضفي عليه مشروعيته ، صار خطاب نشـــر الديمقراطيـــة واحترام حقوق الإنسان تحت هيمنة عالمية تقودها أمريكا[٦٥] .

- إن العولمة (كما لو كانت) مجرد استراتيجية أمريكية لتحقيق هيمنة مطلقة أحادية تعتمد أساساً على استخدام القوة ، مما يبشـــر بنشوء إمبراطورية الفوضى التي تهدد بالإفقـــار والتهميش وتفكيك الدول والمجتمعات "قومياً ودينياً" و "أقوامياً إثنياً عنصرياً" [٦٦] .

- العولمة تعني بالضرورة الأمركة ، إذا فهمنا منها تـــرجيح الإســـهام الأمريكي في الإنتاج الثقافي ، المادي والمعنوي ، الذي يملأ الفضـــاء

---

(٦٤) د. خلدون حسن النقيب : حوار الثقافات وصراعها (مقال) ، مجلة النهج ، عدد ١٤ / ١٩٩٨ .
(٦٥) سمير أمين : ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، مصدر سابق ، ص ١٣٢ .
(٦٦) برهان غليون : مصدر سابق ، ص ١٤٠ .

العالمي الجديد[٦٧] .

- العولمة ظاهرة موضوعية شاملة (كونية) لا يمكن ردها وإبطالها برغبة ذاتية ، والمطلوب حيالها إجراء التكيف اللازم لعمل آلياتها ، بما يكفل دفع عملية التقدم الإنساني وتقليص الأخطار الناجمة عنها[٦٨] .
- هناك فرقة يمثلها الشيوعي **سمير أمين**[٦٩] تجعل من محاربة السلفية والتصدي لها ، جوهر إشكالية مواجهة العرب والمسلمين لتحديات العولمة ، لأنها تمنع الرب والمسلمين من الدخول في الحداثة ، وتطرح هذه الفرقة على المسلمين ، أن يتبنوا الحداثة ، أو يسعوا إلى تحويلها من حداثة رأسمالية ، إلى حداثة شيوعية .
- يرى فريق شيوعي آخر[٧٠] ضرورة حماية العولمة من خطر السلفية الإسلامية ، التي يتسم أصحابها بالصراحة والجرأة في التعبير عن آرائهم وإلصاق مفاهيم مباشرة بالنص الديني المقدس .
- أما (**فوكا ياما**) صاحب أشهر نظرية فكرية في ربع القرن الماضي فيقول : العولمة هي عودة إلى الهيجلية المتجددة ، وانتصار الأفكار الليبرالية التي تتبناها الولايات المتحدة ، بحيث ينتهي التاريخ عندها ، ويدور في فلكها إلى ما لا نهاية[٧١] . لكن مقولة فوكا ياما السابقة ،

---

(٦٧) المصدر سابق ، ص ٤٦ .
(٦٨) مهدي حافظ (مقال) : صحيفة الحياة ، لندن ، ١٩٩٣/٧/٢٣ .
(٦٩) سمير أمين : مصدر سابق ، صفحة ١٢١ .
(٧٠) المصدر السابق ، صفحة ١٢٢ .
(٧١) فرنسيس فوكا ياما : نهاية التاريخ والإنسان الأخير .

قد لاقت معارضة شديدة ، دولياً ومحلياً ، ومن هذه الآراء المعارضة القول بأن : "التاريخ حقل صراع مستمر ، ولن يتوقف عن الحركة لأي سبب كان ، طالما أن حركة التاريخ هي المؤشر الأساس على بقاء المجتمع في حالة صحية ، وأن النظام الأمريكي نفسه ، وعرضه للتَبَدُّلات الجذرية ، كما حصل للنظام السوفيتي ، كما أن حركة التاريخ شهدت ولادة وتطور وانهيار إمبراطوريات كثيرة ، دامت سيطرتها قروناً عدة(٧٢) .

• فرقة أخرى(٧٣) ترى أن حالة السيطرة الأمريكية والفوضى المرتبطة بها ، لن تدوم طويلاً ، لأن العولمة لا تتضمن حلولاً حقيقية لأزمة الرأسمالية ، وأن ما يمكن أن تقدمه ، هو إدارة أو سيطرة مؤقتة على الأزمة تعمل على تأجيل لحظة السقوط أو الانهيار الذي سوف يكون أخطر وأقسى . وتؤكد هذه الفرقة على أن هذا النظام القائم ، يتجه بسرعة نحو مرحلة تفكيك مشروع العولمة .

لكن **إبراهيم غليون** يرى إنه ليس هناك خطورة وليس هناك استحالة لإيجاد حل ، إذا ما كان هناك التزام واحترام لمبدأين مهمين ، لا يسمح بالتضحية بأحدهما لصالح طرف على الآخر ؛ بأن نخفف من المحتوى الإطلاقي لمفهوم السيادة الوطنية للدول والشعوب من ناحية ،

---

(٧٢) د. مسعود ضاهر : العولمة والنظام الجديد . وحدة التاريخ الكوني (مقال) ، الشاهد الدولية ، يناير ١٩٩٧ .

(٧٣) برهان غليون : مصدر سابق ، ص ١٤١ .

وأن نعمل على تطوير القانون الدولي في إطار الأمم المتحدة ، بحيث تصبح هذه المنظمة هي صاحبة الحق في التدخل لحساب الشعوب والأفراد وتطبيقاً لحقوق الإنسان ، وليس هذا من الأمور صعبة التحقيق[٧٤] ، ولكن أصحاب هذا الاتجاه الذي تفوح منه رائحة العلمنة المُقَنَّعة ، لم يحددوا لنا كيف يكون العمل لتقليص دور الهيمنة الأمريكية على المنظمة الدولية من ناحية ، وكيفية دعم موقف السيادة الوطنية لدى الشعوب الضعيفة التي تعيش أسيرة ضغوط دولية قاسية من ناحية أخرى ، ولم يوضحو لنا كيف تكون منظمة الأمم المتحدة حرة من هيمنة أمريكا أو أي هيمنات أخرى غير ظاهرة ، وان تصورنا على سبيل الجدل أن أمريكا والصهيونية المسيحية هما غير الأمم المتحدة .

وأحذر بشدة من مثل هذه الأطروحات الوردية التي تؤدي مفعول مُسَكِّن الآلام ، فهي توهمك أيها المريض بالشفاء ، ولا توقف المرض عن التمكن في الجسد .

- فرقة أخرى[٧٥] ترى حتمية وجود عولمة بديلة تواجه العولمة الأمريكية الأوربية ، وعدم الاستسلام لمقولة النظام المفروض للتحكم في المصائر الدولية ، وأنه لا يكفي بأن تكون هناك نظم للمقاومة والمواجهة ، إنما بالضرورة إيجاد منظومة تملك نفس مقومات منظومة العولمة الاستعمارية ، وليس بالضرورة أن تتولد من داخلها ، إذا ما

(٧٤) المصدر سابق ، ص ١٤٢ .
(٧٥) برهان غليون : مصدر سابق ، ص ١/١٦٨ .

توافرت تلك المقومات من خارج هذه المنظومة المهيمنة ، كما يمكن لهذه العولمة "البديلة" ، أن تَستَخدِم في أساليب المقاومة ، عنصر التجاهل لما يجري ، واعتباره أمر حركة خارجية لا تعنينا ، وغير ذات أهمية ، وليس هناك إلزام بالاعتراف بها كحقيقة واقعة أو الدخول في دوامتها .

وحل آخر للمواجهة(٧٦) ، يعتمد على الاعتراف بالعولمة ، وبخطرها وهيمنتها ، ثم السعي إلى تفجيرها من الداخل ، ومن ثم إقامة نظام آخر محلها ، وهو الموقف الأقرب منطقياً في حالة العجز عن تحقيق المقدمات الأساسية لعولمة البديلة .

وأيضاً من الرؤى المطروحة لمواجهة هذه العولمة كما هي قائمة اليوم(٧٧) ، استدعاء إدراك النقائص والتناقضات والتوترات الخطيرة التي تثيرها العولمة ، والسعي في إطار عمل ديمقراطي يستوعب نشاطات فكرية وسياسية واجتماعية متعددة ، ويتطلع إلى بناء أسس مؤسسات دولة جماعية ، إلى تغيير شروطها وآليات عملها بما يضمن إنقاذ الإرث الأخلاقي الإنساني المشترك ؛ والاستفادة من الإمكانيات التي تتيحها العولمة ذاتها من أجل تطويره وتعميق أسس التعاون والتضامن الإنساني .

---

(٧٦) المصدر سابق ، ص ١/١٦٨ .
(٧٧) المصدر السابق ، ص ١/١٧٠ .

أما الفرقة الأخيرة التي نوردها ونميل إليها[٧٨] ، فترى أن الانقسام البشري الأتم ، ليس الذي بين مؤيدي العولمة ومعارضيها ، إنما هو (انقسام البشرية إلى مهتدين مؤمنين بالإسلام ، وضالين كافرين به ، منذ آدم عليه السلام حتى يومنا .

فتلك أخطر الفروق المحددة للعولمة ، في مواجهة الانقسام العولمي المهيمن في عصرنا الحالي ، والذي أخذ شكل فلسفات مادية ملحدة ؛ رافضة للدين وشرائعه وقيمه الأخلاقية ، رافضة لقبول أية فكرة إيمانية توحيدية ، وساعية لتعميم هذه المنظومة الملحدة وإحلالها وقوانينها وقيمها ، محل نظائرها التوحيدية الإلهية ، بحيث لا يكون هناك (عالم إسلامي) و (عالم صليبي) و (عالم علماني) ، بل عالم واحد (مادي) ، يستقي كل فكره وشرائعه وأخلاقياته من هواه ، ومن ضميره ، ومن خبرته التي هي بالضرورة خبرة العالم الغربي المتقدم ، الغني والقوي ، في أمريكا وأوربا .

وتدعم مقولة هذا الفريق ، دراسة لواحد من أشهر رواد التنظير الفلسفي والفكري في العالم ، الذين كتبوا في العولمة ، وهو **صمويل هنتنجتون** ، صاحب نظرية صراع الحضارات ، إذ كتب دراسة لم تلق نفس اهتمام وشهرة صراع الحضارات ، تحت عنوان: (الغرب. مُتَفَرِّد وليس عالمياً) ، يقول فيها : "إن شعوب العالم غير الغربية ، لا يمكن لها

(٧٨) د. أحمد عبد الرحمن : مصدر سابق .

أن تدخل في النسيج الحضاري للغرب ، حتى وإن استهلكت البضائع الغربية ، وشاهدت الأفلام الأمريكية ، لأن أي حضارة هي اللغة والدين والقيم والعادات والتقاليد ، وروح حضارة الغرب ، غير روح أي حضارة أخرى .

ثم يضيف : ولذا فإن التحديث والنمو الاقتصادي ، لا يمكن أن يحققا التغريب الثقافي في المجتمعات غير الغربية ، بل على العكس ، يؤديان إلى مزيد من التمسك بالثقافات الأصلية لتلك الشعوب، ولذلك فإن الوقت قد حان لكي يتخلى الغرب وأمريكا عن وهم العولمة[٧٩].

ولأن العولمة تكسب قدرتها على الانتشار ، من اتساع قدرتها على فرض هذا النمط على الشعوب ، وليس على أساس ساكنيها – واقعاً فعلياً يحيط بالشعوب والبلدان – فإن خطورة هذا الانتشار (خاصة في بلاد المسلمين) ، تأتي من أسلوب طرحها كمجرد صراع حول المصالح الاقتصادية ، أو تشكيل نسبي لمصالح متنازع عليها ، وهو ما يمثل تجزيئاً للمؤامرة وتغييباً لوعي الشعوب الإسلامية ، بينما العولمة في الحقيقة بحسب المنظور الإسلامي ، هي جريمة إبليسية بشعة أكثر اتساعاً وشمولاً من الإطار المادي الضيق الذي توهمنا العولمة الغربية بمحدودية نطاقه .

وتتجسد هذه المفارقة بيننا وبينهم ، أن الغايات الإسلامية ، تتجاوز تلك الغايات المادية – ما ظهر منها وما خفي – إلى غايات أرحب ،

---

(٧٩) *Samuel Huntington The West Unique Not Universal*

تصل الدنيا بالآخرة ، وتستوعب الأبعاد المختلفة للإنسان المادية والروحية معاً[٨٠] تحتكم فيها الدنيا إلى الدين ، ويحكم الدين فيها الدنيا.

(٨٠) *Foreign Affairs, Vol. 6, Nov. Dec. 1996. Pp 3846* محمد مبروك: ندوة حزب العمل ، مصدر سابق.

مراكز انتشار العولمة

لقد انتشرت العولمة في كل بلاد الدنيا اليوم كنظام عالمي جديد ، يدعو إلى حق الإنسان في حماية أرضه وعرضه ودينه ، بينما الحادث على قدم وساق بالنسبة لأمة الإسلام (بالخصوص) ، هو الحرمان من حق تقرير المصير في فلسطين وكشمير والفلبين والبوسنة والبلقان وتركستان وباكستان وأفغانستان وفي ماليزيا واندونيسيا والسودان والعراق وكل بلاد المسلمين ، بل ومحرومون من حق التنمية ، ومن حق التحَاكُم بالقانون الذي تريده شعوب هذه البلاد ، ولذا فهي ليست عولمة ، إنما هي صورة مجسدة للهيمنة الكفرية .

ولاشك أن هذه العولمة (الهيمنة) ، تشكل تغييراً هائلاً في مشهد العالم ، تدخل معه البشرية في عصر المجال التلفازي والفضاء السبراني ، والتواصل الإلكتروني ، فالفضاء الذي يتشكل ينتج لأول مرة – ليس مجرد السمع والرؤية من على بعد – بل أيضاً اللمس والحس ، ولم يبق سوي الشم والذوق ، إنه فضاء للتواصل الحميم[٨١] .

ولذا فإن آراءً عديدةً تذهب إلى الأخذ بتقنيات العولمة ، كأمر ضروري للدفاع عن البقاء وضمان النجاح الاقتصادي والثقافي ، غير أن الواقع من ناحية أخرى ، يؤكد أن الاستفادة الفعلية من هذه

---

(٨١) د.علي حرب : الثقافة والعولمة (مقال) ، مجلة الشاهد الدولية ، بيروت ، عدد ١٥٩ ، نوفمبر ١٩٩٨ .

التقنيات من قِبَل القوي الكبرى لأهداف الهيمنة هو للبقاء المؤقــت أو الرمزي فقط ، والذي سوف ينتهي مع عوامل الزمن إلى الفناء فيه .

وقد تقصد هذه الآراء التي تقول بأن الدخول في العولمة وتقنياهـا وحقولها وميادينها ، أمر حتمي ومفروض على كـل مجتمـع ، تلـك المجتمعات التي تملك مقومات البقاء ، ولديها الإرادة أو بعض منـها في دائرة المجتمعات التاريخية ، التي لا تنسحب من الفعالية الدولية المشتركة وتعيش في عالم خاص به ، وأتصور أن هذا النموذج من المجتمعات قـد يوجد هنا بين السطور ، لكننا من الصعب أن نجده على أرض الواقع .

وإذا كانت الثورة الجديدة للاتصالات ، كعنصر أساسي من منظومة العولمة ، قد بدأت تنشر تقنياها ووسائلها الجديدة في الكون كله ، فإنه (لا يزال أكثر من (٥٠ %) من سكان المعمورة مفتقـرين لوسـائل الاتصال التقليدية أو البدائية ، أعني للهاتف ، وقـد تجاوزنـا القـرن العشرين ، أي بعد قرن تقريباً على اكتشافه .

وعلى الرغم من التوسع الهائل في انتشار تقنيات الثورة المعلوماتيـة الجديدة (١٠ %كل شهر) ، فلم يتجاوز عدد المشـتركين في شـبكة الإنترنت ومجتمع المعلوماتية والاتصالات الحديثة في نهاية عام ٢٠٠٠ ، أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة ، من أصل سكان يقترب من ٦ مليارات إنسان . لذلك لا تعني العولمة أبداً أن جميع الأفراد المقيمين على وجـه

الأرض سوف يندمجون في الشبكات المالية والمعنوية والثقافية المعولمة[٨٢].

أي أن ظاهرة العولمة التي نعيشها الآن ، ليست أبداً عولمة الخيرات ، ولا عولمة إعادة توزيع الثروات ورؤوس الأموال الفائضة ، كما أنها أيضاً ليست عولمة القيم الإلهية النبيلة ، إنما هي في الحقيقة (طليعة نقل دائرة الإنتاج الرأسمالي إلى الأطراف ، بعد أن كانت محصورة في مجتمعات المركز، لأن عالمية دائرة التبادل والتوزيع والسوق ، بلغت حد الإشباع ، بوصولها إلى أقصى حدود التوسع الأفقي الممكنة وشمولها مجتمعات الكرة الأرضية كلها ، فكان لابد لحركية نمط الإنتاج الرأسمالي ، من أن تفتح أفقاً جديداً لنفسها ، وأن تتجاوز حدودها التي كانت ثابتة ، ونشرها في كل مكان مناسب على سطح الأرض من ناحية ، وإعادة صياغة مجتمعات الأطراف مجدداً في عمقها الإنتاجي هذه المرة ، وليس على سطحها التبادلي التجاري الظاهرة فقط من ناحية ثابتة[٨٣] .

وتنقلنا هذه الحقيقة إلى رصد حركة الانتشار على أساس التمايز الثقافي ، فنلحظ التمييز الواضح بين ثقافة النخبة وثقافة الجمهور الواسع[٨٤] .

(٨٢) ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، مصدر سابق ، صفحة ٣٣ .
(٨٣) ما العولمة ، مصدر سابق ، ص ٩٣ .
(٨٤) ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، مصدر سابق ، صفحة ٤٠ .

فالأغلبية الساحقة من سكان المعمورة ، لا يزالون يعيشون – وسيعيشون لفترة طويلة جداً – خارج العولمة ، وربما لن يدخلوا فيها أبداً ولن يعيشوها إلا على مستوى الخيال والحلم ، فالعولمة ليست قاعة ضيوف مفتوحة لمن يريد ، لكن بقاءهم بعيدين عنها ، لا يعني أنهم سوف يبقوا بعيدين عن تأثيراتها ، إنما يعني فقط أنهم سيتحملون عواقبها السلبية ، في تعميم الفقر والبؤس والتهميش الاجتماعي[٨٥] .

وهذا يعني مزيداً من تبعية الأطراف لمركز العولمة ، كما يعني تجميعاً لقوى المركز وتفتيتاً لقوى الأطراف ، بدعم الأقليات العرقية والطائفية ، من أجل إبراز الخصوصيات والهويات والتعدديات الثقافية للقضاء على وحدة الثقافة ، ووحدة الوطني ، ووحدة التاريخ[٨٦] .

وانتشرت مشاريع دراسات المرأة وجمعياتها ، وأُدخِلَ مفهوم النوع في كل شيء ، حتى في الثقافات التي لم تعرف بعد مفهوم المواطنة ، والتي لا تفرق بين ذكر وأنثى ، وانشغل النضال الوطني بصناعة عدو وهمي للمرأة هو الرجل ، بينما المرأة والرجل كلاهما ضحايا عدو مشترك هو التقاليد والتخلف والفقر والقهر والاستبعاد ، كل ذلك بداية للهدف العظيم ، وهو أن تفتح الدولة الوطنية حدودها الاقتصادية والسياسية والسير في نهج الخصخصة ... الخ ، الذي لا مكان فيه

---

(٨٥) المصدر سابق ، ص ٣٤ .
(٨٦) ما العولمة ، مصدر سابق ، ص ٤٦ – ٤٧ .

للأقزام بجانب الكبار[٨٧] .

وأيضاً وبلا شك فإن النخب الاجتماعية في البلاد الفقيرة ، سوف تكون أقرب – من حيث نمط الحياة والاستهلاك والقيم والثقافات – لنخب وبرجوازيات المجتمعات التقنية ، من بقية أبناء المجتمع الذي تنتمي إليه .

وبالمقابل ، وهذا هو العنصر الرئيسي في العولمة الراهنة ، لم تعد آليات التقسيم الاجتماعي والطبقي ، أي توزيع المداخيل ، معتمدة بشكل رئيسي على التدخل العنيف والمباشر في الحياة الاجتماعية للمجتمعات الأخرى ، ولكن من خلال السيطرة على مراكز القرار والتوجيه ، أي من خلال القيادة والقدرة على القيادة داخل النظام الواحد نفسه ، بتطوير المهارات والتفوق فيها[٨٨] .

ومن خلال أيضاً هيمنة قيم الغرب وثقافته ، التي يتم فرضها بالإعلام والفكر والجواسيس والاختراق على كل الدول والحضارات الأخرى ، حتى جعلوا للاختراق والهيمنة والعمالة ، قوانين ووثائق وبرامج ومؤتمرات ، مثل مؤتمرات السكان ومظاهرات الشواذ ، تحت مظلة الأمم المتحدة ، لتقنن التحلل والانحلال ، كقيم جديدة

---

(٨٧) ومن هذا الباب ، تتزلق الأمم والشعوب الفقيرة إلى شراك تبني سلوكيات وقيم لا تتواءم مع قيمها وعقيدتها ، فتسعى بإرادتها للتخلي عن شخصيتها لحساب الآخر ، ويحرص الآخر ألا يمنحها من شخصيته إلا ما يخدم مصالحه الاقتصادية ، وأهدافه المستقبلية ، فيبقيها عند أدنى درجات التقليد .

(٨٨) ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، مصدر سابق ، ص ٣٨ .

للإنسان[٨٩] .

وانتقالاً إلى الرؤى التطبيقية للعولمة ، في أهم مراكز هيمنتها (أمريكا ، اليابان ، المانيا ، الصين ، الوطن العربي) ، يمكن أن نلحظ بشدة ، ذلك التباين الحاد ، في تحديد المواقف المكانية والزمانية ، بما يدل على خلل واضح وشديد في التعامل مع العولمة كمفهوم ، بينما قد نجد بصيص ضوء من الانسجام ، إذا ما كان التعامل معها كحالة تطبيقية ، هذا الانسجام الذي يميل نحو الرفض ، أكثر من ميله نحو القبول ، وإن كنا ندرك أن الرفض أو القبول لن يغيرا كثيراً في تطوير الرؤى أو تعديلها ، لارتباطها في الغالب بأيديولوجيات ومصالح وانتماءات .

أمريكا والعولمة

في أمريكا ؛ يُبرز **ميشيل كلوج** ، مظهرين متناقضين للعولمة بالنسبة للأمريكيين ، حيث يذهب إلى أن هناك أطروحة لمظهرين من مظاهر انتشار العولمة :

الأول : إنه ليس للعولمة على الولايات المتحدة ، الآثار نفسها التي على البلاد الأخرى ، لسبب أساسي هو أن الولايات المتحدة هي في آن معاً ، الأكثر انفتاحاً على العالم والأكثر حضوراً به .

(٨٩) محمد عمارة : مصدر سابق .

الثاني : هو الحضور الأمريكي على الصعيد العالمي ، فمـن المؤكـد أن العولمة عملت كثيراً على انتشار وانغراس الولايات المتحـدة بالعالم ، وبالفعل فإننا نجد اليوم في كثير من البلدان ، وتوافـق مصطلح العولمة مع معنى الأمركة(٩٠) .

بينما يرى **لستر ثارو** ، أبرز أعضاء مجلس النواب الأمريكي ، غـير ذلك تماماً قائلاً : إن قواعد اللعبة الاقتصادية سوف تنتقل إلى يد أوربا الموحدة ، التي سوف تكون أعظم قوة اقتصادية بقيادة القاطرة الألمانية في العقود القادمة(٩١) ، وأن أمريكا سوف تكون مستقبلة لا مصـدرة للعولمة ، وقد تكون واحدة من ضحاياها إذا ما نجحت أوروبا في تحقيق أهدافها .

ألمـانيا والعولمة

أما الألمانيان **هانس بيتر مارتين** ، و **هارولد شومان** ، فَيُبْديان قلقاً شديداً لهذا التصور ويذهبان إلى أنه (مع نمو انتشار العولمة يزداد تركز الثروة ، وتتسع الفروق بين البشر والدول اتساعاً كـبيراً ، حـتى أن ٣٥٨ مليارديراً في العالم ، يمتلكون اليوم ثروة تضـاهي مـا يملكـه

(٩٠) مجلة الثقافة العالمية ، الكويت ، نوفمبر ١٩٩٩ ، ص١٠٣ .
(٩١) محمـد مبـروك : الإسـلام والعولمـة ، الـدار القوميـة العربيـة ، القـاهرة ١٩٩٩ ، صفحة ١٩ .

٢,٥مليار من سكان المعمورة . أي ما يزيد قليلاً على نصف سكان العالم ، وأن هناك ٢٠ % من دول العالم :

- تستحوذ على ٨٥ % من إجمالي الناتج العالمي .
- وعلى ٨٤% من التجارة العالمية .
- وعلى ٨٥% من مجموع المدخرات العالمية .

ثم يضيفا : وهذا التفاوت القائم بين الدول ، يوازيه تفاوت آخر داخل كل دولة ، حيث تستأثر قلة من السكان بالشطر الأعظم من الدخل الوطني والثروة القومية ، في حين تعيش أغلبية السكان على الهامش ، وهذا التفاوت الشاسع ، سواء على الصعيد العالمي أو المحلي ، يراه منظري العولمة مطلوباً في حلية التنافس العالمي الضاري[٩٢] .

إلا أن الكاتبان الألمانيان يلفتان الأنظار إلى حقيقة مهمة ، وهي أن رافعي راية انتشار العولمة (يحاولون بما يختارون من عبارات وصور، الإيحاء بأن الأمر يتعلق بحدث شبيه الأحداث الطبيعية التي لا قدرة لنا على ردها أو الوقوف بوجهها ، كما لو كانت نتيجة حتمية لتطور تكنولوجي واقتصادي ليس بوسعنا إلا الإذعان له ، والواقع – كما يقول الكاتبان الألمانيان – أن هذا ليس إلا ثرثرة ، فالتشابكات الاقتصادية ذات الطابع العالمي ، ليست حدثاً طبيعياً بأي حال من الأحوال ، إنما هي نتيجة حتمية خلقتها سياسة معينة ، بوعي وإرادة .

(٩٢) فخ العولمة ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ص ١١ .

فالحكومات والبرلمانات هي التي وقّعت الاتفاقيات وسنّت القوانين التي ألغت الحدود والحواجز ، التي كانت تحد من تنقل رؤوس الأموال والسلع من دولة إلى دولة أخرى ، فرجالات الحكم في الدول الغربية هم الذين أوجدوا بانتظام ، الحالة التي يعجزون الآن عن معالجتها (٩٣) .

اليابان والعولمة

كسراً لصنم العولمة ، يؤكد الكاتبان اليابانيان **هاماتا نوبورو** ، و **آلان جيلرم** أنه : من جانبنا نحن اليابانيين ، لا همنا كثيراً مشكلة العولمة ، فلدينا اقتصاد كوني ، هو في القلب من الاقتصاد العالمي ، وبالأحرى فإن مشكلتنا هي في معرفة أين سيكون هذا المركز :

- في البحر المتوسط الآسيوي ؟
- على سواحل الصين ؟
- أم في اليابان ؟

فهذا المتوسط الآسيوي كما يقال عنه في الغرب :

- يمتد بطول ٥٠٠٠ كيلومتر .
- ويمتد بعرض ٥٠٠ كيلومتر .
- ويمتد بمضيق (ملقا) الواصل بين العملاقين ، الهند والصين .
- وشمالاً بمضيق تسوجارو .

---

(٩٣) المصدر السابق ، صفحة ٣٣ .

وهذا المتوسط ليس بحراً ، ولكنه سلسلة من السهول المائيـــة مـــن البحار ، لكل منها خصائصه وسفنه وتاريخه[٩٤] .

الصـــين

وفي الصين ، لم يختلف الأمر كثيراً عنه في اليابان ، إذ يرى الصينيون أن الصين سوف تعود من خلال العولمة ، لتكون مركز العالم في العقود الأولى من القرن الثالث ، إذا استمرت معدلات نموها الاقتصادي على تصاعدها الحالي ، فكما يقول **لاوس** : بالنسبة لنـــا نحـــن الصـــينيين ، فانتشار الظاهرة التي يسميها الغرب بالعولمة ، أو الكونية ، لا تعني شيئاً غير الأهمية المتنامية لآسيا في التجارة العالمية ، وبالمحصلة ، تؤكد وضعها المركزي في قلب العلاقات الدولية[٩٥] ولأكثر من ذلك ، وهذا لا شك موقفاً وطنياً يعطي دلالات عديدة ، على رأسها أن العولمة ليســـت أن قدراً محتوماً ، وما هي إلا منظومة لها مكونتها التي يمكن تفكيكها وإعادة تركيبها وفقاً للحاجات الخاصة ، كما يمكن أيضـــاً الســـيطرة عليهـــا وتعطيل نشاطها ويمكن استئناسها ويمكن أيضاً رفضها أو القضاء عليها وطرح بديل لها ، ولعل موقف الصين ، حتى لو كان نظريـــاً يمكـــن أن يفلح العرب والمسلمون في استعيابه وهضم دلالاته .

(٩٤) مجلة الثقافة العالمية ، مصدر سابق ، صفحة ٥٧ .
(٩٥) محمد مبروك : الإسلام والعولمة ، مصدر سابق ، صفحة ٢٣ .

أفريقيا والعولمة

أما عن انتشار العولمة في القارة الأفريقية عموماً ، فيرى البعض أنه لا بديل لها – هكذا إجمالاً – عن الالتجاء إلى العولمة لإخراجها من حالة التهميش الذي تعانيه ، بينما يقول **جورج تادونكي** : إن عملية إحلال الليبرالية التي تتوافر لها تكلفة اجتماعية ، لم تتضح جزئياً إلا بشكل متأخر ، فهناك أولاً التنظيم السيئ لإعادة ترتيب أوضاع من فقدوا وظائفهم ، بسبب أن المشروعات التي تخصخصت ، قامت بفصل العديد من العاملين الذين يقومون بإعالة عائلات ، كما ارتفعت معدلات الإفلات من العدالة ، وعمليات الاحتيال ، ويعيش البعض على الاستغلال غير القانوني للسكان ولموارد الدولة .

فكان من نتيجة هذه العملية للإحلال الليبرالي والرأسمالي العلماني ، انخفاض ملحوظ في نوعية المنتجات الزراعية في الريف الأفريقي ، بسبب انشغال الناس قبل كل شيء بالثراء ، فباع المضاربون كل ما يمكنهم بيعه بغير تدقيق[٩٦] ، واشترى العولميون بتدقيق أو غير تدقيق لأن الغاية الأولية عندهم ، هو سلب أبناء القارة كل سلطان لهم على مقومات البقاء ، واستلام زمام الإدارة التي يكون لها حق اتخاذ القرار ، وتوجيه السياسات.

إذ انخدع الأفارقة ببيع ما هو غير منتج في أيديهم ظناً منهم أنهم كسبوا بما باعوا وأصبح في أيديهم أموال لم ينتبهوا أنهم سوف يردونها ثانية وعلى

(٩٦) الثقافة العالمية ، مصدر سابق ، مصدر سابق ، صفحة ٨٨ .

وجه السرعة إلى من دفعها ثمناً لمنتجاته الجديدة التي هيئوا له أنه لا حياة بغيرها.

الوطن العربي والعولمة

وفي العالم الإسلامي عامة والوطن العربي خاصةً ، تتوسل أمريكا بوسائل عديدة لفرض العولمة بالمفهوم الأمريكي من خلال القوى العلمانية الداخلية والطابور الخامس بالمال والإعلام ، وحماية الجمعيات والجماعات والأفراد الخائنة للوطن أو الرافضة لعقيدة الإسلام وتكريمهم ، كما حدث مع **فرج فودة** ، **ونوال السعداوي** ، **ونصر أبو زيد** ، **وسلمان رشدي** ، **ونسرين تسليمه** وغيرهم عشرات .

وقد انتشرت الجمعيات الأهلية والمنظمات المشبوهة كأندية روتاري وليونز والذواقة والإخاء الديني والسوروبتمست والمؤاخاة بين الدول ، وكلها تابعة للمحافل الماسونية ، فتبنت مؤتمرات السكان وحقوق المرأة ، وحقوق الطفل وحقوق الشواذ ، وكلها انتشرت في بلادنا انتشاراً وبائياً ، وتدفقت عليها الدولارات بسخاء ، ومثلها كان الدعم الاقتصادي للنظم العلمانية الحزبية والنيابية والحاكمة ، المعادية للإسلام ، وعلى الجانب الأخر فرض الحرمان والتجويع والحصار لأي مؤسسة أو جماعة أو نظام يتمرد على الإرادة الأمريكية ، أو يتخذ الإسلام منهاج حياة كاملة .

ومصدر آخر تنتشر العولمة من خلاله ، هو مواثيق الأمم المتحدة ، التي

جعلت من الإيدز والشذوذ الجنسي ومواليد السفاح وجيوش المجرمين وعصابات المافيا كلها من سمات عصر العولمة التي يجب أن نتقاسمها معهم ، حتى ولو لم تكن من سمات بلادنا ، ولو لم نشكو منها ، ولو كانت مجتمعاتنا محصنة ضدها بما تملكه من مضادات حيوية فطرية وبيئية ، تم استخلاصها من ثمار العقيدة[97] .

العولمة في ميزان الإسلام

بعد تحديد هوية العولمة والوقوف على نشأتها ومراحل تطورها وجذورها الفكرية ومكوناتها القيمية والأيدلوجية ، ثم بعد تناول الرؤى العلمية التي تؤيدها والرافضة لها ، ومعالجة أطروحاتها المتلونة والمتحركة لخدمة الجاهلية الأممية في مواجهة ما عداها من نظم ، والوقوف على أهم مراكز انتشارها ، وموقف بعض الدول الكبرى منها ، يكون ضرورياً بعد ذلك كله ، أن نطرح موقع هذه المنظومة من دين الإسلام ، وبالتبعية ، يتحدد موقف المسلم المعاصر منها ، باعتبارها منظومة حكم أو سياسة ، أو منظومة حياة ودنيا ، أو منظومة دين وعقيدة .

ونخلص إلى أن ما يدعوه البعض الآن بالعولمة ، لا نحسبه – بداية – إلا دعوة نحو عالمية المصالح والأهداف وإلى تكريس الوضع القائم الذي تسود فيه ازدواجية المعايير ، وفساد الموازين وغياب العدل .

(٩٧) د. أحمد عبد الرحمن ، ندوة حزب العمل ، مصدر سابق .

هي عولمة غربية المنشأ ، غربية الأهداف ، غربية الأدوات ، غربية الثقافة ، ولذلك ، فهي العولمة ذات البعد الواحد الذي نرفضه ، وهي الوجه الآخر للهيمنة وتكريس تبعية الآخرين لثقافة أصحابها[٩٨] .

ولا شك أن الواحدية الإنسانية ، في غياب المرجعيات المتجاوزة ، تنحدر لتصبح واحدية (طاغوتية) عنصرية ، إذ يصبح أحد الشعوب هو (الأنا) المقدسة (السوبر مان) ، التي ترى بقية البشر (السيب مان) .

وإذا كان الإنسان الغربي في عصر نهضته ، قد استطاع أن يعلن أنه (الأنا) المقدسة ، وأن العالم قد انقسم ببساطة إلى (الأنا) و (الآخر) ، القوي والضعيف ، الغازي والمغزو ، المسلح والأعزل ، الغرب وبقية العالم[٩٩] ، فإنه برغم ذلك ، أضعف من أن يعلن ذلك صراحة .

ولذا ، فإن واحدة من مشكلات العولمة ، هي أساليب التلون – التي تلجأ إليها هروباً أو تخفياً على سواء – فهي أحياناً عولمية ، وفي أحيان أخرى غير عولمية ، غير أن الأمر الذي يحكم تلون دول العولمة إجمالاً ، هو عدم الثبات على أسس عالمية ، بل إصرارها على الاحتفاظ بأسباب ذاتية لتقلب توجهاتها تبعاً لمصالحها ، وليذهب بعد ذلك بقية العالم إلى الجحيم[١٠٠] .

ولذلك ، يرى البعض أن العالم اليوم في ظل هذه المنظومة الوحشية ،

---

(٩٨) د.مصطفى النشار : ضد العولمة ، دار قباء ، مصر ، ١٩٩٩ ، صفحة ٩ .
(٩٩) د. عبد الوهاب المسيري : النظام العالمي الجديد ، مصدر سابق ، ص ٢٠ .
(١٠٠) إحسان على بوحليقة (عضو مجلس الشورى السعودي) : مصدر سابق ، ص ٣٤ .

يجد نفسه أمام إعصار مدمر ، يكاد أن يقتلع جذورنا ويـــذرنا هبـــاء منثوراً ، حتى أصبح مهماً للغاية ، أن نفعل شيئاً قبل أن تكون أثراً بعد عين ، ولعل (التحصين الذاتي) ، هو أفضل أساليب مواجهة الإعصار ، فالوقوف أمامه ليس باستطاعة أحد ، ولا حتى من القوى الـــتي تبـــدو (كبري) ، وأكثر قدرة على المقاومة ، فلابد من مداراته ، ومراوغته ، حتى نفلت من هيجانه وزمهريره[١٠١] .

لكن أيضاً ، لابد أن نعي أن العولمة ليست قدراً محتومـــاً لا يمكـــن الفكاك منه ، ولا قانوناً تاريخياً تخضع له كل الشعوب ، ففي مواجهـــة العولمة يمكن العثور على نقيضها في :

- الإرادة الوطنية المستقلة للشعوب .
- التجمعات الإقليمية القادرة على الخروج من دائرة الدولار .
- تكوين قطب ثان في مقابلة القطب الأوحد ، وهو أمر ليس مجرد إنشائيات وتمنيات ، بل هو وصف لمسار تاريخي ممكن[١٠٢].

لكنني أعجب كثيراً من استبسال **إبراهيم غليون** في تبرئة العولمـــة من كونها أمركة والعكس صحيح ثم التهوين من خطورتها ، برغم كل الشواهد التي تثبت هذا الزواج غير الشرعي ، فيقول : "والواقـــع أن الأمركة ليست ثمرة للعولمة ولكنها أحد أركانها ، فالعولمة ليست نظاماً

(١٠١) محمد أبو زعرور : مصدر سابق ، ص ٦٨ .
(102) ما العولمة ، مصدر سابق ، ص ٢٩ .

عالمياً أو نموذجاً كونياً للحياة ، ولكنه نظام جديد من العلاقـات بـين الثقافات ، كما هو الحال بين الجماعات والدول والأسواق ، نشـأ في سياق صراع التكتلات الرأسمالية الكبرى على الهيمنة العالمية ، ويكرس الموقع المتميز للولايات المتحدة فيها ، بقدر المشاركة الرئيسية في ثـورة المعلومات ، بما يسمح لمنتجات الثقافة الأمريكية أن تـروج وتنـافس منتجات الثقافات الأخرى إلى حد كبير"(١٠٣) .

ثم هو يبرر الطاغوتية الأمريكية صانعة العولمة ، معوَّلاً على ضـعف الثقافات الإنسانية كلها باستثناء الثقافة الممارسة للسيادة فيقول : "وفي هذا النظام ، إذا فقدت أي جماعة تميزها الثقافي ، أي مواردها الثقافيـة التي لا يشاركها فيها غيرها ، فقدت هويتها كجماعة مستقلة واندمجت في غيرها ، سواء من خلال تَمَثُّل ثقافة أخرى ، أو بالخضوع العملي لها ، مع الاحتفاظ بملامح ثقافية لا تتفاعل مع البيئة ولكنها تعكس انتماءات تاريخية ، وهذا هو ما يمكن أن نسميه القانون الأول في الاجتماعـات الثقافية ، الذي يفسـر اسـتمرار الثقافـات الخاصـة والتمسـك بالخصوصيات" .

---

(١٠٣) ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، مصدر سابق ، ص ٤٥ .

أما القانون الثاني ، فهو أنه لا توجد ثقافة مستقلة كلياً عن الثقافات الأخرى ، لأن الثقافات توجد بالضرورة في حقل تفاعل ، يحدد فيما بينها علاقات هيمنة أو خضوع بدرجات متباينة ومتفاوتة(١٠٤) .

والقانون الثالث ، هو أن الثقافة المهيمنة إنما تحتل موقعها المتفوق بسبب تفوق منظومات قيمها الأخلاقية أو الدينية أو الفنية (في حالة المسلمين) ، أو بسبب تفوق منظومات قيمها المادية ، سواء أكانت عسكرية أو اقتصادية أو سياسية أو جميعها (في حالة أمريكا وأوربا والصين واليابان علي سبيل المثال لا الحصر) .

وهذه القاعدة هي التي تفسر موت ثقافات ، وتُحجِرُ على ثقافات أخرى وإبقائها ثقافات محلية أهلية ، وكذلك تطور ثقافات ثالثة إلى مستوى الثقافات الحضارية العالمية(١٠٥) .

والقانون الرابع ، هو أن السيطرة الثقافية لا تعني بالضرورة سلب الثقافات الأخرى اتساقها الداخلي وقدراتها الإبداعية ، لأن الثقافات هي منظومات شديدة التركيب ، قادرة على الحركة والتكيف والتأقلم والتجدد باستمرار ، بقدر ما هي قادرة على التوليف والترقيع أيضاً(١٠٦) .

---

(١٠٤) المصدر سابق ، ص ٤٨ .
(١٠٥) ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، مصدر سابق ، ص ٤٩ .
(١٠٦) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

من هذه القوانين الأربعة ، التي يمكن إضافة قوانين أخرى إليها – مع احتفاظنا بوصف العولمة بالطاغوتية – ندرك بجلاء وثقة أن العولمة ليست أبداً قدراً محتوماً ، كما يحاول أن يصورها العلمانيون أو الشيوعيون بسبب ضعف ثوابتهم العقدية ، وافتقادهم للقوى الإيمانية التي تربط المسلم بربه ، برباط من الثقة واليقين ، إذ أن السيطرة الثقافية هي سيطرة تاريخية في المقام الأول ، أي أنها تخضع لصراعات وتوازنات متغيرة ومتحولة في صيرورة دائمة ، وأي تغير إيجابي في موازين القوي ، إنما يفتح فرصاً لإعادة بناء الثقافة على أسس جديدة ، كما حدث للمسلمين حينما انتقلوا من الجاهلية إلى عقيدة التوحيد .

لكنني أكرر مراراً أنه من المهم أيضاً أن نفهم أن العولمة بلا شك تحمل مخاطر هيمنة ، أقوى نفوذاً وأثراً من الاستعمار التقليدي ، لأنها لا تستخدم الطرق العنيفة التي استخدمها الاستعمار ، لكنها تعتمد على قبول الناس وسعيهم إلى الاندماج فيها ، كما تخاطب عقولهم ومخيلاتهم قبل أن نتعامل مع مواردهم الطبيعية وأسواقهم .

كما أن وسائل الإعلام العالمية اليوم ، هي أكثر فتكاً بالشعوب النامية ، من حرب الأفيون التي دمرت المجتمع الصيني منذ عقود قليلة ، لكن في المقابل ، فإن هذه الهيمنة تنطوي على ثغرات أكثر من تلك التي كانت في نظم الهيمنة الاستعمارية السابقة ، إذ تتيح بصورة أسهل للشعوب والجماعات أن تمتلك الوعي والإرادة والقوة ، وتستفيد من

العولمة بقدر ما تتحمل من أعباء الخضوع لهيمنة الدولة الكبرى فيها(١٠٧) ، إذ أن هذا الوعي وتلك الإرادة ، لا يرتبطان فقط بالشرط الاقتصادي فحسب ، ولكن بالثقافة التي تنظر إلى هذا الشرط الاقتصادي ، أي بوعي الناس لشرطهم وقبولهم به أو رفضهم له ، فلا شك أن امتلاك شعب ما لثقافة مستقلة ، يؤدي دوراً كبيراً في ذلك(١٠٨) ، ويفتح الفضاءات الوطنية بعضها على بعض ، وسعياً إلى العولمة على توحيد المعايير ، وتصنيع وعي مشترك أو عالمي بالمشكلات الإنسانية ، ونكون هكذا أمام تناقض شرس بين عالم يتجه أكثر فأكثر نحو وحدة المصير الفعلي ، بحيث يتأثر كل مجتمع لا محالة سلباً وإيجاباً بما يحصل في المجتمعات الأخرى ، وبين قرار يتسم إلى حد خطير بالخصوصية في كل ما يتعلق بالمسائل الجماعية أو العالمية ، ذلك ؛ هو قرار دولة واحدة هي الولايات المتحدة الأمريكية ، التي تحتفظ لنفسها بحق احتكار القرار الدولي ، وتمارس حتى على حلفائها ، سياسة إملاء الإرادة الإمبريالية شبه الاستعمارية بصورة رسمية كما في مجلس الأمن ، وبصورة غير رسمية من خلال سيطرتها على وسائل صنع القرار وقدرتها على حجز المعلومات واستخدام الإعلام العولمي للتلاعب بالرأي العام .

من هنا ، فإن العمل على توسيع دائرة المشاركة في القرارات الدولية من قِبَل جميع الشعوب والمجتمعات ، هو الوسيلة الوحيدة للحد من

---

(١٠٧) المصدر السابق ، ص ١٣٤ .
(١٠٨) المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

الهيمنة العولمية ، ودرء خطر تحويلها إلى نظام احتكاري استعماري أوحد ، وهو صراع ضد إرادة الهيمنة ، ليس مستحيلاً ولا صعب التحقيق[١٠٩] .

والقول بأن العولمة بمعناها السياسي المتمثل في أبدية ما يسمى بالنظام العولمي ، هي قَـدَر البشرية ، أو القول بأنها حتمية تاريخية ، أو بوصفها (نهاية التاريخ) كما بشر **فوكو ياما** ، هذه كلها أقوال مرفوضة ، ذلك أن موجبات العولمة التي تبدو حالياً قاهرة ، ليست إلا لحظة في سياق التطور السياسي للإنسانية ، لا ينبغي تعميمها على المستقبل ، مثلما لم تكن حقيقة في الماضي ، برغم كل ما شهده العالم من تطورات أدت إلى تعميق تواصله ثقافياً وسياسياً واقتصادياً[١١٠] .

كما أنه من المهم ، الوقوف على الحقيقة الغائبة أن الثورة المعرفية والاتصالية الهائلة ، ليست كما يظن البعض خطأ ، أنها ملكاً للغربيين وحدهم ، بل هي نتاج التقدم العلمي المطرد الذي شاركت فيه جميع شعوب العالم ، ومن ثم فهي ملك للجميع ، وحق يجب أن يحصلوا عليه ، وأن يستثمروه دون وصاية من أحد[١١١] .

---

(١٠٩) المصدر السابق ، ص ١٨٢ .
(١١٠) عبد العظيم حماد (مساعد رئيس تحرير الأهرام) : مجلة المعرفة ، م سابق ، صفحة ٣٨ .
(١١١) د.مصطفى النشار : مصدر سابق ، صفحة ١٠ .

وإذا كان البعض يدعو اليوم إلى الحوار بين الثقافات والحضارات ، فإن هذا الحوار لا يصح أن يكون بين سيد وعبد ، أو بين آمر ومأمور ، بل ينبغي أن يكون حواراً تتكافأ فيه الأطراف ، ويعتز فيه كل طـرف بثقافته وهويته الخاصة ، في الوقت الذي تتلاقي فيه المصالح ، وتتضافر فيه الجهود والوسائل لتحقيق هذه الأهداف والمصالح المشتركة[112] .

ولاشك أن الأرقام التي تزخر بها التقارير الاقتصادية والسـكانية ، أصبحت تغطي مساحة أفقية ورأسية تفضح أي محاولة للـهروب مـن كوارث العولمة ، ولعل الوقوف على نماذج من هذه الأرقام يعطي صورة رمزية لما استحال إليه حال الكون تحت وطأة العولمة :

١-إن الدول النامية المستقبلة للمعونات ، تدفع للنظم العولميـة[113] دولاراً ، مقابل كل دولار تحصل عليه في صورة مساعدات .

٢-إن ١ % من سكان الولايات المتحدة ، يمتلك ٥٠ % من مجموع الثروة ، و ٨٠ % يمتلكون أقل من ٨ % .

٣-إن ٨٠ % من لجان صنع القرار في الولايات المتحدة ، يتم تعيينهم من قبل أصحاب المصالح والثروات .

(١١٢) المصدر السابق ، صفحة ٩ .

(١١٣) محمد بن سعيد بن سهو أبو زعرور : العولمة ، مصدر سابق ، صفحة ٦٢ . وانظر أيضاً : تقرير برنامج الأمم المتحدة للتنمية ، عام ٢٠٠٠ .

٤–اتساع الفجوة بين دخل الـ (٥ ٪) الأكثر ثراء في العالم ، ودخل الـ (٥ ٪) الأكثر فقراً ، من ١ : ٣٠ عام ١٩٦٠ ، إلى ١ : ٦٠ عام ١٩٩٠ ، إلى ١ : ٧٥ عام ٢٠٠٠ .

٥–إن ٣,٥ مليار إنسان من ٦ مليار هم عدد سكان المعمورة ، يعيشون بأقل من دولارين يومياً ، و ١,٣مليار آخرين ، يعيشون بأقل من دولار واحد يومياً .

٦–في ظل العولمة ، ارتفع عدد الذين يعانون فقراً شديداً ، من ٤٨ مليون إنسان ، إلى ٣٠٠ مليون عام ٢٠٠٠ .

٧–إن ٣,٥ مليار إنسان – أكثر من نصف سكان العالم – يفتشون عن لقمة العيش من خلال ٦ ٪ من ثروة العالم[١١٤] .

وقد لا يدرك كثيرون أن المنطقة العربية (وهي جزء من العالم الإسلامي) تمثل أكثر من ١٠ ٪ من مساحة العالم ، وتضم أكثر من ربع مليار عربي ، ولديها قوة عمل تعدادها ٨٠ مليوناً[١١٤] .

إن تلك الحقائق والأرقام ، تثير الهلع وتنذر بالشر المستطير ، الذي قد يدفع بالفقراء إلى ثورة أو ثورات عارمة ، تأتي على الأخضر واليابس ، وتقضُّ مضاجع كثير من الدول ، وفي مقدمتها الولايات الأمريكية ، فليس أشد فتكاً من دوافع الفقر والجوع الناجمين عن القهر والظلم .

---

(١١٤) إحسان على بوحليقة (عضو مجلس الشورى السعودي) : مصدر سابق .

وتلك الحقائق والأرقام المرعبة بالنسبة لنا ، بالضرورة هي معايير نجاح بالنسبة لدعاة العولمة ، الذين صرحوا وبجرأة[115] : إننا يجب أن نعرف أن العولمة شبيهة بالموت ، وهى صورة مجازية شرسة ، يصورون بها حتمية العولمة ، فهل هي كذلك ؟

يقول **عبد الوهاب المسيري** : يجب أن يدرك هؤلاء الذين شبهوا العولمة بالموت ، أنها إذا كانت فعلاً حتمية ، فإننا يجب أن نعرف أنها طريق جهنم ، وليست الجنة ﴿ ..... أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ ..... ﴾ (البقرة) ، فإذا اضطررنا للذهاب إلى جهنم ، فهذه قد تكون نهاية الكون التي يمضي إليها الغرب قبلنا ، ولكن في هذه الحالة يجب ألا نذهب إلى جهنم ، ونحن نعتقد أنها الجنة ، فهذا ليس سوى خداع للنفس ، ولكني أؤكد أنها ليست حتمية ، لأن المجاهد داخل الإنسان ، سوف ينتصر بمشيئة الله ، وأن القيم الإسلامية من الممكن أن تحشد هذه الأمة ، لكي تقف ضد هذا الاتجاه المميت الذي يذيب الخصوصيات القومية والخصوصيات الدينية أيضاً ، أي أنه اتجاه يعادي أي نوع من القيم ، سواء كانت قيم قومية إثنية أو قيم إنسانية دينية[116] .

وإذا كان البعض يتصور أن العولمة قد حلت عقداً متشابكة في مجال الإنتاج والاستهلاك والأموال ... فلم يكن مستغرباً أن تأتي الجريمة من

---

(١١٥) محمد بن سعيد بن سهو أبو زعرور : العولمة ، مصدر سابق ، صفحة ٧٤ .
(١١٦) عبد الوهاب المسيري : ندوة حزب العمل ، مصدر سابق .

خلال العولمة – على طبق ثقافي وإعلامي نشاهده اليوم في عالم الإعلام الذي غطى أرجاء الأرض ، ومعه سموم الأفكار والتفسخ الأخلاقــي ، كحقيقة واقعية في غضون العشرين عاماً الماضية ، تخدش الحياء وتقوض الحشمة ، فماذا بعد الرذيلة ، ونبذ الفضــيلة في البــث التلفــازي ، والمجلات ، والإعلانات التجارية التي يقصد بهــا في الظــاهر تــرويج السلع ، وفي الباطن نشر الرذيلة والفواحش(١١٧) .

فإذا – كابر وعاند البعض واختزل – العولمة في أنها مجرد مفهــوم لإكساب الشيء طابع العالمية ، وبالتالي عدم المســاس بخصوصــيات الأمة ، أي عدم الدخول فيما يتعلق بالهوية ، وبالتالي يظنون أن هذا لا يعني بتاتاً تناقض العولمة مع الهوية ، إنما كإطار للتنوع الثقافي ، ووسيلة جديدة للحوار الراقي بين الحضارات والأديان .

فإن الواقع ينطق بأفصح لغة وأحسن بيان عن تناقضهما ، من خلال فرض هيمنة أمريكية على كل الهَويَّــات الأخــرى ، وعلــى جميــع الأصعدة ، في الأمور الشكلية والفرعية ، فالهوية تعــبر عــن خاصــية المطابقة ، مطابقة الشيء لنفسه أو لمثيله ، تطابق عادات وتقاليد أمريكا مع عادات وتقاليد العرب والمسلمين ، هكذا نرى التناقض الواقعي بين الهَويَّة وبين العولمة المعاصرة(١١٨) .

---

(١١٧) اللواء عبد الرحمن أبكر الياسين : مصدر سابق ، صفحة ١٨ .
(١١٨) د. محمد عمر الحاجي : مصدر سابق ، صفحة ٤٩ .

فإذا كنا نرى أن بدايات محاولة مسخ الأمــم والشــعوب تــوحي بصرعة التقليد الكاسح في ظل العولمة ، فإن الباحث والمحلل يــرى أن المسألة لا تتعدى حماس المراهقين للتقليد ، سواء كان ذلك في ارتــداء (الجينز) الأمريكي ، أو سماع موسيقى الروك الأمريكيــة ، أو تنــاول (ساندويتشات) المطاعم الأمريكية ، فإن ذلك كله يشبه (الزَبَد) الذي يحمله السيل العارم ، ولن يبقى في العقول والقلوب والأرض إلا ما ينفع الناس(١١٩) .

وبعد كل ما رأينا من بدايات نظام العولمة ، نســتطيع القــول : إن سبب نشوء العولمة ، هو تقصير شعوب المسلمين في تبليغ الرسالة العالمية التي كُلِّفوا بنقلها إلى الآخرين(١٢٠) ، وقد أزاح د.جلال أمين ، حِمــلاً ثقيلاً قد يقع على كاهل الباحثين العــرب إذا مــا رغبــوا في طــرح تصوراتهم للخروج من قوقعة هذه المنظومة الشريرة ، فقال : بداية إنه لم يعد مجدياً الآن الاعتماد على دول المنطقة بعدما تمت عولمتها ، إذا أردنا مقاومة العولمة ، ذلك إنه من الخطأ الاعتماد على كيانات تم سقوطها ، وعلينا أن بحث عن كيانات أو أشياء بديلة للارتكاز عليها ، والأمل في المقاومة منعقد على الشعوب وحدها(١٢١) .

---

(١١٩) المصدر السابق ، ص ٥ .
(١٢٠) المصدر السابق ، صفحة ٥٩ .
(١٢١) د.جلال أمين : العولمة والعرب (محاضرة) ، منتدى مؤسسة شومان ، عمان ، ١٩٩٧/١١/١٧ .

وعلى قادة الشعوب الإسلامية أن تثق في أن العولمة ليست قدراً لا يمكن رده ، وأن المسلمين يملكون خيارات عديدة لمواجهة التحـــديات والمخاطر التي تفرضها العولمة في حال توفر الإرادة المطلوبة .

وعلى الشعوب الإسلامية أن تدافع عن مصالحها ، وأن تكون على قدر التحديات ، حتى يكون لها (حارة) تسمى (حـــارة المســـلمين) في القرية الكونية التي يؤسسها العالم في عصر العولمة (١٢٢) .

ولن يُتَاح للمسلمين اكتساب هذه الـ (حارة) ، إلا بمزاحمة دعـــاة العولمة في الشوارع والمدن التي احتلوها ، وهم الضرورة سوف يقاومون ذلك الحق وسيعملون على تضييق المســـاحات لخـــنقهم بقـــدر مـــا يستطيعوا ، ومثالاً على ذلك أنه لما طفا الحس الإســـلامي إلى ســـطح تركيا ، اتخذت أوربا قرارها الحاسم بعدم انضمام تركيا إلى سوقها ، مما اضطر الرئيس التركي السابق (**تورجوت أوزال**) للبوح بالحقيقة الـــتي حاول كثيراً ألا ينطق بها ، فقال في تصريح تناقلته وكـــالات الأنبـــاء الدولية إلا وكالات أنباء البلاد العربيـــة : "إن الأوروبـــيِّين يرفضـــون انضمام تركيا في السوق الأوربية ، لأننا مسلمون وهم مســـيحيون ، لكنهم لا يقولون ذلك صراحة" .

أثارت يومها هذه الصراحة التي تكلم بها (**أوزال**) كل حكام أوربا ، فأعلن (**هلموت كول**) المستشار الألماني السابق ، متحدثاً باســـم كـــل

---

(١٢٢) عبد سعيد عبد إسماعيل : مصدر سابق ، صفحة ٢٩٠ .

أوربا قائلاً : "إن السوق الأوربي نادٍ مسيحي ، وليس لتركيا أو أي دولة مسلمة أخرى مكان فيه" .

فعلقت العلمانية (**تانسو تشيلر**) رئيسة الحكومة التركية آنذاك قائلة : "إن موقف الاتحاد الأوربي من طلب الانضمام التركي ، هو بمثابة بناء حائط برلين ثقافي ، يفصل بين أوربا وتركيا" .

لذلك إن العولمة ، بمعنى وجود أرضية مشتركة بين شعوب الأرض تسمح بقيام علاقات بينها ، وتسمح بوجود قوانين كوكبية تنظيمها لخير الجميع ، تعتبر نظرية مقبولة من وجهة النظر الإسلامية ، أما العولمة التي تعني فرض الفلسفة البراجماتية النفقعية ، المادية ، العلمانية ، وما يتصل بها من قيم وقوانين ومبادئ ، على سكان الكوكب ، فهي نظرية مرفوضة تماماً في ضوء الإسلام .

عولمة الهيمنة وعولمة الأسلمة

وأمام تلك الحقيقة الواضحة التي تحدد مواقف الغرب من الشرق ، وموقف الصليبية من الإسلام ، يقول **د.قدري حفني** : "أننا لو أردنا رصد مواقف الناس العاديين من العولمة ، لوجدناها تتمحور بين مواقف ثلاثة :

١- موقف الاستسلام أمام العولمة باعتبارها قدراً لا حيلة لنا فيه .

٢- موقف الانغلاق تجاه العولمة ، باعتبارها مؤامرة أمريكية صهيونية تهدد تراثنا وثقافتنا وأصالتنا وتاريخنا .
٣- موقف يرى أن نميز من العولمة ما يناسبنا ، ومالا يناسبنا ، كما لو كنا في (سوبر ماركت)(١٢٣) .

ولكن المشكلة التي تواجه الأمة المسلمة اليوم في الحقيقة ، ليست تحديد الموقف المناسب ، أو صعوبة الاختيار والمفاضلة فيما بينها ، إنما المشكلة تكمن في أنصار العولمة من أبناء المسلمين ، بخاصة أولئك الذين يحكمون المسلمين ويتحكمون في التربية والتعليم والإعلام ، ويُسَخرون كل القوي المؤثرة في توجيه الشعوب لإقناعهم بـ (العولمة) المرفوضة إسلامياً ، وفضلاً عن ذلك يكتمون الصوت الإسلامي الذي يقاوم العولمة الأمريكية وأدواتها(١٢٤) .

وهو ما أشار إليه د. **جلال أمين** في سطور سابقة ، أن جوهر أزمة التخلف في المجتمعات الإسلامية لمواجهة العولمة ، ترجع إلى الخلل في عالم الأشخاص ، وإهدار حقوق الفرد وسحقه ، لكن هذا الهاجس الذي يريد أن يتخلص منه د.**جلال أمين** ، هو نفسه الذي سقط فيه عندما قال: إن خطط مواجهة العولمة ، يجب أن تظهر اعتماداً أكثر على الكائنات البشرية ، حتى لا تعبر عن وسواس نقص المال الذي يهلكها

(١٢٣) محمد حسين أبو العلا : مصدر سابق .
(١٢٤) د. أحمد عبد الرحمن : المصدر السابق .

من البداية بإخضاعها إلى إرادة المال ، فهل نجعل شعارنا (الإنسان أولاً) ؟[125] .

وهكذا نكون أمام صنمين ، صنم المال الذي به تنطلق الملكات والإبداعات ، أو تتوقف الدنيا بدونه ، وصنم الإنسان الذي يتولى هو الإبداع ويتحكم في المال باعتباره – بحسب المفاهيم الصنمية – هو الذي يأتي بالمال وهو الذي يبيع به ويشتري ويستثمر ويفرض العولمة ليهيمن بها على الكون كله ، وكلا المعتقدين عند المسلمين متطرف عند الوسطية .

وواحدة أخرى من الصنميات العولمية أيضاً ، أنه قرّ في أذهاننا منذ مطلع العصر الحديث ، أننا لكي نلحق بركب الحضارة ، لابد أن نساير الغرب و مرجعيته الأولى في بلاد الإغريق ، إذ منذ أن ظهرت على وجه الأرض أمة اليونان ... قدموا أنفسهم للعالم على أنهم هم المبدعون للفلسفة والآداب والفنون ، وأن منهم **هوميروس** ، **وهزيود** ، **وطاليس** ، **وفيثاغورس** ، **وسقراط** ، **وأفلاطون** ... [126] .

ولكن بسبب استغراق المسلمين في الواقع المشاهد ، توهموا جهالة أن هذا حالهم منذ فجر التاريخ ، وتلك مصيبة كبيرة في حياة المسلم المعاصر ، أن يستدرج خلف ادعاءات أعدائه وينسوه تاريخه فيستجيب

(١٢٥) عبد سعيد عبد إسماعيل : مصدر سابق ، ص ٢٦٢ .
(١٢٦) د.مصطفى النشار : مصدر سابق ، ص ٢٨ .

وينسى ، فلشد ما أعجب بعرب الجزيرة العظماء ، الذين أنار الدين الجديد – قبل أربعة عشر قرناً – عقولهم ، وحرر أخلاقهم ، وجدد هممهم ، فحملوا لواء حضارة فتية جديدة أساسها الإيمان الحق بإله واحد ، وبالأخوة والمساواة العالمية ، ... وسرعان ما سادوا العالم قولاً وفعلاً ، بقوة الإيمان قبل قوة السلاح ، فاشتقوا لأنفسهم طريقاً حضارياً جديداً ، حتى أصبح العصر عصرهم ، والفكر فكرهم ، والعلم التجريبي علمهم ، والمجتمع السياسي الحق أساس دولتهم الكبرى ، وأخلاق القرآن حياتهم .

برغم كل ذلك ، أسلم المسلمون القياد للغرب بعنصريته وعنجهيته القديمة ، فنقلوا عن المسلمين ونهلوا وتعلموا وأخذوا وسرقوا ، وأنكروا ، ثم تصوروا أنهم صانعوا عصر النهضة الغربية بإبداعاتهم هم فقط ، وببعض ما أحيوه من أفكار أسلافهم اليونانيين ، وأنهم لم يستفيدوا من المسلمين ، اللهم إلا بعض شروح لأرسطو ، وإضافات طفيفة **لابن حيان ، وابن الهيثم** .

إنهم ، ظلوا في نظر أنفسهم – وهذا ما أتمنى التأكيد عليه لدى شعور كل مسلم بذاته – ، هم سادة الفكر وقادة العالم إلى التنوير ، والعلم ، والعقلانية الحديثة ، أما نحن فقد رضينا لأنفسنا الإتّباع بدلاً

من الإبداع ، ورضينا الثقافة بدلاً من الفكر ، والمدنيـة بـدلاً مـن الحضارة ، وارتضينا أن نصف أنفسنا بالعجز عن مجاراة الغربيين[١٢٧] .

لذلك يصبح أمراً حثيثاً أن نجد مساحة سياسـية (في المقـام الأول) ملائمة لطرح السؤال المهم الغائب حتى الآن ، عن المعالجات الفكريـة لظاهرة أو فكرة العولمة :

– ألا توجد عولمة أخرى مضادة للعولمة الأمريكية ؟

يجيب **د. قدري حفني** على هذا السؤال الذي وصفه بـ (السـؤال الملح) فيقول : قبل انهيار الاتحاد السوفيتي كان هناك طـرح مضـاد ، عولمة أمريكية وعولمة اشتراكية ، كل يختار ، وكل يقف على الحيـاد ، أما الآن ، فإننا نردد كثيراً مقولـة : القطـب الواحـد ، أو العولمـة الأمريكية .

ثم يستطرد **د.قدري** قائلاً : "لكنني أتصور الآن أن هنـاك طرحـاً مضاداً موجوداً بالفعل وعالي الضجيج ، شـهدناه في ١١ سـبتمبر ، ولكنه طرح مسكوت عنه لأسباب كثيرة ، ولكي نفهمه لابد أن نتفق على أن الإسلام والمسيحية هما دعوات للعولمة[١٢٨] .

(١٢٧) المصدر السابق ، صفحة ٣١ .
(١٢٨) محمد حسين أبو العلا : مصدر سابق .

والطرح المضاد الذي تبناه **ابن لادن** ، بدا في أول الأمر أنه طرحـاً ملتبساً ، إذا اعتبرنا أن العولمة التي تطرحها أمريكا ، هي عولمة علمانية ، وليست عولمة مسيحية .

وكان ممكناً أن يقع **ابن لادن** في فخ كبير ، من الـرفض العـالمي ، إسلامياً ومسيحياً وعلمانياً ، لولا أن أنقذه "**بوش**" الابن ، عندما أعلن أن حربه ضد المسلمين هي حرب صليبية ، فأكمل بذلك طرفي المعادلة: العولمة أنه والعولمة المضادة ، ثم تتابعت تصريحات الغرب وقادته مؤكدة على أن حرب صليبية ، لتحفظ لابن لادن ماء وجهه أمام ربـه أولاً ، ثم أمام المسلمين الرافضين لاستخدام العنف ، ولو لم يصرح **بـوش** بهذا التصريح الخطير لكان ممكناً رفض أطروحة **ابـن لادن** شكلاً ومضموناً ، دنيا وديناً ، من المسلمين بإجماع ، قبل المجتمع الدولي ، وبهذا الطـرح الصليبي ، اكتسب به **ابن لادن** بغير ترتيب منه أرضاً لم تكـن لـه إلا بتصريحات **بوش وتاتشـر** وغيرهما ، بإلباسهم أعمـالهم الإجراميـة في أفغانستان والعراق ثوباً مسيحياً ، استقام به أمر **ابن لادن** إلى حد كبير، عندما صرف قطاع كبير من العالم ، من التصدي لما سمـي بالإرهـاب الإسلامي ، ما دام هناك على النقيض إرهاب صليبي ، وبذلك توزعت دماء القتلى والضحايا و الإدانة العالمية لما حدث في ١١ سبتمبر ، على طرفين بدلاً من طرف واحد ، وكان المكسب الكـبير الـذي حققـه **ابن لادن** للمسلمين بغض النظر عن صواب ذلك أو خطئه ، أو شرعية

لك من عدمه ، فإن كَرَّسَ مفهوماً وواقعاً وحقيقــة ، بوجــود عولــة مضادة لعولمة أمريكا ، و أن هذه العولمة المضادة قادها رجل ينتسب إلى دين أسمه الإسلام ، وأن قيادته لهذه العولمة المضادة هي نابعة لدية مــن إيمان اعتقادي برفض الهيمنة الصليبية الأمريكية على العالم ، وهو ما لم يستطع أن يفعله واحد من أي عقيدة أخرى .

ولكن لذلك يكون من المهم جداً التمييز بــين العولمــة بمفهومهــا الإسلامي الشمولي لتنظيم الكون وإصلاحه – بعيداً عن أحداث سبتمبر **وابن لادن** – ، وبين التغريب الذي يهدف إلى نشــر وبــث الثقافــة والمفاهيم والمبادئ الغربية في أنحاء العالم وبسط النفــوذ الغــربي علــى الشعوب الأخرى وإبعادها عن معتقداها وتقاليدها وحضاراها بشــتى السبل ، بدءاً من مناهج التعليم وتربية الناشئة ، إلى أساليب الإعــلام المقروءة والمسموعة والمرئية(١٢٩) .

ولا أغفل أبداً أنه يخيف بعض المفكرين ، أن العولمة التي نواجههــا اليوم ليست إلا ما يصدره الغرب إلى مجتمعاتنا ، أي تصدير ما يريــده الغرب ، حتى لو كان مخرباً للأخلاقيات ، أو مدمراً للســلوكيات ، أو مهدماً للخصوصيات ، وبالتالي ، فهذا هو الخطر حقيقة .

وهذا الخوف بالضرورة له ما يبرره ، كما هو واضح من مكونــات هذه العولمة ، إلا أنني أؤكد ثقة في الله أولاً ، ثم بمقومات العقيدة الــتي

---

(١٢٩) د. أحمد محمد علي : مصدر سابق .

نؤمن بها ، أنه مادام الإسلام الذي نعتنقه ، نؤمن إيماناً صادقاً بأنه ديـــن عالمي ، أي يناسب الجميع ، فلا مجال أبداً لأن نخاف من مسائل العولمة الأخرى أو أي عولمة سواها ، ؟ سواءً على خصوصياتنا أو غير ذلـــك ونستدعي التاريخ للمسلمين ونسأل :

هل يمكن أن ننسى أن دمشق والقاهرة وبغداد والأندلس ونيودلهي وقرطبة ، كانت يوماً ما عواصم الثقافة والمعرفة العالميتين (العولمية) ؟

أو ننسي أن لغتنا العربية – لغة القرآن الكريم – كانت يوماً هـــي أكثر اللغات عالمية وانتشاراً ؟

أو ننسي أن ملوك وعلماء أوربا كانوا يتفاخرون يوماً ما ، بأنهم هم تعلموا ، أو ابتعثوا أولادهم وخيرة شبابهم ليُحَصِّلوا العلم في معاهـــدنا وجامعاتنا الإسلامية.

أجل !! كنا يوماً ما نصدر العولمة – بكل أشكالها – إلى كل أنحـــاء العالم ، وذلك يوم كان أميرنا يخاطب السحابة قـــائلاً : أمطـــري أو لا تمطري ، فأنّا أمطرتِ فسيأتيني خراجك بإذن الله تعالى .

إذن : هل نهاب اليوم من نتائج العولمة ؟

نحن أمة لنا خصوصياتنا ، ونحن الذين نملك كل الوسائل والمرتكزات الثقافية ، فالقرآن الخالد المعجز ، وسنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، والتراث الفقهي الذي لا مثيل له في العالم ... كـــل ذلـــك ،

حصونٌ منيعة أمام كل أنواع الغزو وكل أنواع العولمات[١٣٠] .

ولعل ما يقوله **روبرت كابلان** الخبير الأمريكي بشئون العالم الثالث ، يكون حافزاً لهذا المفهوم الجديد والخاص بالعولمة ، مفرقاً بين عولمة الهيمنة وعولمة الأسلمة ، فيقول **روبرت كابلان** : "في هذا الجزء من العالم ، سيكون الإسلام بسبب تأييده المطلق للمقهورين والمظلومين أكثر جاذبية ، فهذا الدين المطرد الانتشار على المستوى العالمي ، هو الديانة الوحيدة المستعدة للمنازلة أو الكفاح[١٣١] .

ولم يكن غريباً ، أن يقرر المؤرخ **توينبي** أن المسار الإنساني نحو العالمية ، سيحتاج إلى عطاء الإسلام في القضاء على العرقية بجميع تفرعاتها ، وفي التخلص من مظاهر الانحطاط التي أحدثتها المجتمعات الكحولية والملاهي[١٣٢] .

ويقرر **ريتشارد ب . سنون** أن مفتاح المستقبل ، رهن بمعرفة كيفية مجابهة العولمة (الهيمنة) ، أو يتعين على كل ثقافة على حدة ، أن تجد نقط ارتكاز لتحركها ، ولأن الإسلام بما يمتلك من معرفة الوحي ، أسهم على مر تاريخه ، في إذكاء جذوة الفكر العقلاني والعلمي وضبط

---

(١٣٠) د. محمد عمر الحاجي : عولمة الإعلام والثقافة ، مصدر سابق ، ص ١٣١ .
(١٣١) هانس بيتر مارتين ، وهارلد شومان : فخ العولمة ، ص ٦٤ .
(١٣٢) د. بركات محمد مراد : ظاهرة العولمة . رؤية نقدية - كتاب الأمة رقم (٨٦) ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، قطر ، ذو القعدة ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١/١/٢ غ ، صفحة ١٦٧ .

أهدافه ، لذا ، فربما سوف يكون الإسلام هو المضطلع بمسؤولية حمـل هذا المشعل من جديد [١٣٣] .

وفي كلمة ألقاها الأمير **تشارلز** ولي عهـد بريطانيـا في جامعـة أكسفورد عام ١٩٩٣ ، تحدث حول الحضارة الإسلامية على الغرب ، جاء فيها : إذا كان الغرب يسيء فهم طبيعة الإسلام ، فلا يزال هناك جهل كبير حول ما تدين به حضارتنا وثقافتنا للعالم الإسلامي ، إنه نقص نعانيه من دروس التاريخ ضيق الأفق الذي ورثناه ، فالعالم الإسلامي في القرون الوسطى ، من آسيا الوسطى إلى شاطئ الأطلس ، كان يعـج بالعلماء ورجال العلم ، ولكن بما أننا رأينا في الإسلام عدواً للغـرب ، وكثقافة غريبة بنظـام حياتها ومجتمعها ، فقد تجاهلنا تأثيره الكبير على تاريخنا .

ولقد عاش الفيلسوف الفرنسي **روجيه جارودي** ، غالبية حياتـه في الأوساط الثقافية والسياسية كمفكر ومنظر شيوعي اشتراكي ، فلمـا اطلع على الإسلام ، اعترف أن هناك فرقاً كبيراً بين المنظومتين ، وتميزاً شاسعاً بين الفكرين ، فانقلب عقباً على رأس ، وراح يوضح للناس من حوله حقيقة الدين الحنيف وما فيه من حلول وإسعاد لـبني البشـر ، وحقيقة الحضارة الغربية وما تصنعه من مشكلات لقهر بـني البشـر ، وكان مما شهد به قبل أن يعلن إسلامه ، أن الحضارة الغربية – رغـم

---

(١٣٣) المصدر السابق .

هذه الهيمنة – قد انتحرت ، والسبب الرئيس لهذا التخاذل الانتحاري ، إنه خلال القرون الخمسة المنصرمة لم تعد الحضارة الغربية إلحادية فحسب ، بل أصبحت تتصف بالشرك ، فالنمو والجنس والعنف والمال والقومية ، كلها غدت غاياتها في ذاتها ، وبتعبير آخر أصبحت آلهة مزيفة لهذه الحضارة[(١٣٤)] ... .

فإذا كانت تلك هي نظرة البعض من خبراء مركز العولمة المادية للإسلام ، وإذا كانت هناك حتمية حقيقية لوجود العولمة فأنا أزعم أن في الإسلام قواعد وتعاليم تشكل مذهباً إسلامياً في العولمة يمكن أن نقارنه بالنظريات الأخرى ، ونقوّمها هي في ضوئه .

ويكون مهماً سرعة التحول من حالة الاستقبال والانتظار السلبي ، إلى حالة الفاعلية والإرسال والاستقبال ... وسيكون ذلك ممكناً ، عندما تتغير نظرتنا إلى ذاتنا ، ونعيد صياغة علاقتنا بالكون بصورة فاعلة[(١٣٥)] .

فالعولمة – ورغم اللبس المفاهيمي الذي يعتريها – يمكن أن تكون منفذاً (للمسلمين) لتفتح آفاقاً ، وتتيح فرصاً ، أمام الذين يمتلكون المهارة والقدرة التي تمكنهم من الحركة والازدهار والفعل الإيجابي الواعي ... وإذا كان الإنصاف لا يسمح لنا بالتنكر لإيجابيات الحضارة

---

(١٣٤) د. محمد عمر الحاجي : عولمة الإعلام والثقافة ، مصدر سابق ، ص ٨١ .
(١٣٥) د. بركات محمد مراد : مصدر سابق .

الغربية ، إلا أننا لسنا ملزمين على الإطلاق بوضـــع الغـــرب مقياســـاً ومؤشراً لحركة التقدم ، كما هو الحال الآن ....

بل إن خيارنا الآن والوحيد ، هو بناء نموذجنا العالمي الخاص بنـــا ، الذي نستطيع به السيطرة على أداء المجتمع الدولي المعاصر ، مستنداً إلى منظومة القيم المتكاملة ، لتكون العولمة طوعاً لنا ، لا ســـوطاً يلســـع ظهورنا ويلهج أنفاسنا(١٣٦) .

وإنه ليس بوسع الأمة الإسلامية أن تقف مكتوفة الأيدي إزاء هـــذه الظاهرة ، بل يجب أن نأخذ بالأسباب لمواجهة سلبياتها بالموضـــوعية ، حتى لا نكون نهاية الركب ، ثم نبكي أو نتباكى(١٣٧) .

ولذلك ، فإنني أري أن هناك حاجة لإعطاء أولوية عليـــا لـــبعض المجالات ، إذا أردنا أن نملك حركية إسلامية ، تستطيع التصدي لحركية العولمة ، ويمكن إيجاز هذه الأولوية في أربعة مجالات :

١- الاتجاه نحو طرح حضاري ينطلق من عقيدة الإسلام ويعود إليها ، وليس أبداً على شاكلة المشروع الحضاري الذي طرح أســـاتذتنا الفضلاء **فهمي هويدي وعادل حسين ومحمد عمارة** وأخونـــا **رضوان السيد** في بيروت .

٢- حتمية التكامل الاقتصادي بين أوطان الأمة .

---

(١٣٦) المصدر السابق صفحة ١٩٩ .
(١٣٧) عبد سعيد عبد إسماعيل : مصدر سابق . صفحة ٢٣١ .

٣- ضرورة التنمية البشرية .

٤- الشفافية ومحاربة الفساد[١٣٨] .

ولكن الأخذ بهذه الأولويات - إذا قبلنا بها جدلاً - فإن سؤالان مهمان للغاية ، يفرضان علينا ضرورة الإجابة عنهما ، حتى نَتَبَيَّن بوضوح موضع أقدامنا ، وتحديد علاقتنا بالآخر في ظل ما يسمى بالعولمة .

الأول : ما مقومات هذه العولمة في علاقتها مع الآخر (الإسلام) ؟

الثاني : ما مقومات الإسلام في علاقته مع الآخر (الأمركة) ؟

الأول : المقومات المعلنة لنظام العولمة في علاقته مع الإسلام :

وهي خمس عناصر :

١- الترويج لزعم **فرنسيس فوكو ياما** ، أن الديمقراطية كنظام سياسي وأيديولوجية عقدية ، حققت انتصارها الحاسم على رقعة واسعة من الكون ، وباتت في موقع "يستحيل" معه على أي نظام فكري أو عسكري أو اقتصادي أن يتحداها ، لكن الواقع يشهد على غير ما روج **فوكو ياما** أن المشكلات التي عانتها وتعانيها الشعوب التي (دُمُقرِطت) ، في مختلف المجالات ، باتت من الجرم والخراب والتحلل القيمي والأخلاقي ، شاهداً على إخفاق هذا النظام

(١٣٨) المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

الدولي ، ومنذراً بسقوط مفهوم العولمة ، أو على الأقل تفريغه من مضامين الهيمنة المتجبرة التي تُمارس اليوم في مواجهة الإسلام .

٢- كما يدحض زعم **فوكو ياما** أيضاً ، عدد كبير من الباحثين الأمريكيين الذين يعترفون بأن الجزء الأعظم من نتائج علومهم الاجتماعية مما يَدَّعون أنه عالمي ، هو في الحقيقة مبني على تجارب الآخرين ، التي قد تصدق في حالة ولا تصدق في حالة أخرى .

٣- إن انفراد الولايات المتحدة بقيادة العالم – هذا – إن أفلحت في فرضه بالقوة إلى حين ، فمن المؤكد أن القوى الأخرى ، وفي مقدمتها الإسلام ، لن تستسلم لتلك الهيمنة طويلاً .

٤- إن السلام المزعوم في المنطقة ، الذي يسعى بكل ما أوتي من آليات العنف والإرهاب والقتل، ليدمر أي قوة عربية أو إسلامية ، هو نفسه السلام الذي يدعم تسليم وبقاء واستخدام آليات العنف والإرهاب ، والقتل والحصار وتخزين أسلحة الدمار الشامل في قلب الأمة ، لحساب الكيان الصهيوني المحتل للأرض والمغتصب للأعراض والمعتدي على المقدسات .

٥- إسفار منظمة الأمم المتحدة عن وجهها الحقيقي، في أنها منظمة لخدمة المطامع الصهيونية ، التي تتولى أنظمة الهيمنة الأمريكية حمايتها وتوسيع دائرة خطورتها، ليس في الوطن العربي فقط، إنما في كل بلاد العالم قاطبة ، لذا فهي عولمة شيطانية لا أخلاقية ، تلهث لتحقيق النفعية أياً ما كان الثمن ، وأياً ما كانت النتائج .

وهي عشر مقومات ، يمكن زيادتها والتوسع فيها ، وتتميز بأنها تحمل في طياتها دائماً ذخيرة البقاء والديمومة لاتساقها مع الفطـرة البشـرية ، واستجابتها للمكنون الأخلاقي في وجدان الإنسان أياً ما كان مذهبـه وأياً ما كانت عقيدته ، لأنها تنضبط بقانون عُلوي سماوي ثابـت ، لا تسير عليه بلطجيات العقل الضال ، ولا تتأثر بمطـامع الإنسـان ولا بنوازعه الشخصية سواء كان حاكماً أو محكوماً ، محلياً أو إقليميـاً أو دولياً ، أما المقومات العشرة فهي :

١- أن الإسلام يقوم على أصول عقائدية ، وتصورات مطلقـة عـن الإنسان والكون .

٢- أن الإسلام يقدم للإنسان - بصرف النظر عـن جنسـه وزمانـه ومكانه - نظاماً شاملاً متكاملاً ونموذجياً ، يتلاءم مع فطرته ويشبع رغباته المادية والروحية ، الفردية والجماعية .

٣- يلتزم الإسلام برسالة محلية وعالمية ، هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤- لأن الله وعد أهله وأوليائه بالغلبة ، ويقين المسلمين بهذا الوعـد لا يتزعزع ، فقد قرر أنه ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ..... ﴿٢٥٦﴾ ﴾(البقرة).

٥-ومع دعوة الإسلام لحرية الاعتقاد ، فقد أوجب على المسلمين أن يعدوا أنفسهم بكل أنواع القوة ، لإرهاب أعدائهم في الدين ، الذين هم أعداء الله أولاً .

٦-الإيمان الراسخ بأن أسباب النصر ، ليست محصورة في العدد والعدة ، إنما أيضاً وقبل ذلك ، أن لله قوىً يبعث بها إلى عباده الذين يدافعون عن دينه ، عند حاجتهم للمدد .

٧-اليقين الراسخ لدي المسلمين ، أنهم يتبعون سبيل الرشاد الذي حدده لهم كتاب الله الكريم ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ.... ﴿١٥٣﴾ ﴾ (الأنعام ١٥٣) .

٨-الاعتقاد بأن كل من لا يتبع هذا الصراط المستقيم هو من الضالين ، الزائلة قوتهم ، بغض النظر عن حجم هذه القوة أو مصدرها أو أشكالها ، لقوله تعالى : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ ﴾ (آل عمران) .

٩-هذه الاعتقادات الإيمانية تشعر المسلمين دائماً بالقوة والعزة ، وأنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم أو عليهم ، فليثبتوا على الحق مطمئنين ، لا يصيبهم بأس ولا قنوط ، وإن أصابتهم المصائب ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ (آل عمران) .

١٠- إن أهل الإسلام ، تجمعهم رابطة العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، أخوة تلفظ العنصرية أو الطائفية ، سواسية في الدنيا ، سواسية يوم العرض والحساب ، فلا مجال لخداع أو نفاق .

كما تستند عولمية الإسلام إلى حقيقة أن لهذا الدين الإلهي قيَمه المطلقة ، التي لا تتغير ولا تتبدل من زمان إلى زمان ، ولا من مكان إلى مكان ، ولا من أمة إلى أمة ، فهي قيم عالية ، كوكبية ، لا يملك أحد إنكارها ، وهي من وجهة نظر إسلامية ، حقائق عقدية أخلاقية وتشريعية وبيولوجية وطبيعية[١٣٩] ، يقررها القرآن الكريم ، ألا وهي أن كل الناس – الشعوب والقبائل البشرية – ينتمون إلى أب واحد وأُم واحدة فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات) .

وخلاصة ما يمكن أن نستشهد به على وجهة النظر الإسلامية تجاه العولمة ، ما كتبه المفكر الفلسطيني القومي ، ورئيس لجنة الحوار القومي – الإسلامي ، الراحل **د. أحمد صدقي الدجاني** ، والتي رحب فيها بالتعامل مع العولمة ، في ضوء معطيات العقيدة التوحيدية ورسوخ الحضارة الإسلامية فيقول : إن ظاهرة العولمة حقيقة موجودة ، فلنتعامل

(١٣٩) د. أحمد عبد الرحمن ، مصدر سابق .

معها ، ولكن لنثق أولاً بقدرتنا على المواجهة ، فعملية محاولـة إلغـاء الثقافات وتنميط البشر على ثقافة غربية واحدة ، يقينا سيفشل .

فقد يندفع البعض من شبابنا في مرحلة ، إلى أكل (الهمبورجر) مثلاً لكنه بعد فترة قصيرة ، يعود إلى روعة الأطباق التي تعودها هنا وهناك وجاءت عبر تجربة عريقة ، هذا على صعيد الطعام ، أما علـى صـعيد الثياب ؛ قد يلبس شبابنا (الجينز) أحياناً في فترة قصيرة ، ولكن هـل هناك أروع من اللباس النابع من البيئة ، المنسجم معها .

إذن علينا أن نثق بأن هويتنا الحضارية ستكون راسخة ، وخصوصاً أن الهوية دائماً جماع ثلاثة عناصر :

- العقيدة التي توفر رؤية كونية .
- اللسان الذي يجري التعبير به .
- التراث الثقافي طويل المدى .

وبهذا المنطق الفعال ، سوف نواجه هذه الظاهرة ، وكلنا ثقة أن قيم حضارتنا ستنجح في التغلغل داخل الدائرة التي تسيطر عليها العولمـة ، وهي الدائرة الغربية ، لأن في الإنسان نزعة فطرية للتطهر ، وهناك قيم في داخل تلك المجتمعات تلتقي مع قِيمنا ، ولذا سيحدث تَغَلُّب لها علي قيم الاستهلاك والتسلية وعلى ما تأتي به العلمانية الـتي لا تنظـر إلى

الإنسان إلا على أنه مستهلك مادي ليس إلا[140] وللدكتور الفيلسوف العالمي **رشدي فكار** كلام رائع في هذا المجال رحمة الله تعالى .

(١٤٠) مجلة الكلمة ، لندن ، العدد ١٨ .

وفي ضوء التأكيد على أن لدى الأمة الإسلامية – والأمة الإسلامية وحدها – المعين الذي لا ينضب من الخيارات البديلة للعولمة المتوحشة .

وفي ضوء التأكيد على أن لدى الأمة الإسلامية وحدها ما تملكه من حلول للمشكلات الإنسانية ، ومن مقومات العدل والسلام ما لا يملكه غيرها من الأنظمة العالمية التي احترفت سلب خيرات الشعوب وسرقة ثرواتها ومص دمائها ، وإضعافها .

ومن المؤسف حقاً ، أن أعداء الأمة يدركون ذلك ويعلمونه علم اليقين ، ولذلك نراهم ينشطون في مقاومة الحضارة الإسلامية ، ويعملون على تشويه صورة الإسلام ، والزج بالمسلمين في دوائر العنف ، للحيلولة دون الأخذ بأسباب عودتها إلى أصولها .

والغريب في الأمر ، أن هذه الأمة التي يتحدى الغرب نهضتها ، إنما تقع موقع المصدر شبه الرئيسي لحياة هذا الغرب ، بما لدي المسلمين من ثروات وخيرات .

لماذا يرفضون منظومة الإسلام ؟

لكن الحقيقة الخافية هي أن المشكلات التي سوف تترتب على ما يطرحه الإسلام من حلول ، سوف تكون على الحقيقة كوارث ضخمة على أصحاب المصالح الكبرى الذين لا يعرفون من فنون البيع والشراء

غير صفقات السلاح والمخدرات وتجارة الرقيق وربا الأموال في البنوك والقروض وتلك هي الموانع الرئيسة لقبول المنظومة الإسلامية للعولمة ، والتي يمكن تقنينها في عدة نقاط على رأسها :

١-أن الإسلام كل لا يتجزأ ، ولذا لن تستقيم حلوله إلا بإسقاط إمبراطورية الربا الحرام ، التي تجذرت في المؤسسات الدولية ، وتجريم كل وسائلها وأشكالها وأنواعها ومواردها وصناعاتها .

٢-إسقاط إمبراطورية الزنا الحرام وما يتعلق بها من مصادر جلب أموال ، كتجارة الرقيق ، والملاهي ، والمراقص ، والخمور ، والدعارة ، وسياحة الجنس ، وأفلام الإغراء ، والغواية والقمار بأنواعه وأشكاله ، وتكنولوجيا ترويج الفواحش وممارساتها والسلوكيات الشاذة ، من وسائط وأقراص وبث مباشر وغير مباشر وآليات مستترة ، تحت مسميات الثقافة أو التعليم .

٣-إلغاء مفهوم (الاقتصاد) ، الذي لا يعرف غير زيادة الثروة وأساليب تنميتها ، واستبداله بما يعرف باسم (النظام الاقتصادي) الذي يسعى إلى تنظيم وسائل استخدام الثروة وكيفية توزيعها على أسس من العدالة الاجتماعية ، في ضوء الضوابط الشرعية لأنواع الملكية الثلاثة :

أ- الملكية الفردية : مثل ؛ أجر العمل الحلال ، والإرث الشرعي ، وضوابط الإنفاق ، وحقوق المسلمين في بيت المال ، والهدايا والهبات والمهور واللُّقَطة .

ب- الملكية العامة : كالأرض ، والمعادن ، والمنافع الطبيعية كالبحار والأنهار والطرق .

ج- ملكية الدولة : الملكيات المتعلقة باشتراك الجماعة في الانتفاع بها مثل ؛ الأوقاف ، والضرائب ، والجزية ، والخراج ، والفيء ، وبيت المال .

مقترحات للتطبيق

وفي المنظومة الاقتصادية ، ووفقاً للركائز الثلاث السابقة للملكية ، فإن هناك جوانب عديدة لتطبيق هذه المنظومة ، من أهمها :

١-ربط عملة الدولة الإسلامية بالذهب والفضة ، والذي ظل معمولاً به منذ دولة الخلافة الأولى ، حتى سقوط الخلافة الأخيرة ، بينما ظل معمولاً به في بعض البلاد الغربية ، حتى قرر الرئيس الأمريكي **نيكسون** في ١٩٧١/٨/١٥غ ، إلغاء ربط الدولار بالذهب والفضة كلية .

٢-توحيد العملات في الدول الإسلامية بعملة واحدة ؛ يخضع التعامل بها للأحكام الشرعية ، دون فتن أو مشكلات ناتجة عن اختلاف

العملات ، وتيسيراً على المسلمين في تحديد زكـواقم ، وأسـعار صرف أموالهم ، وكفارة بعض الحدود الشرعية ؛ كالدية والسرقة وتعويضات الإتلاف أو فقد الأعضاء ... الخ .

٣-إلغاء كل أنواع الضرائب والمكوس ، إلا ما قد تقتضـيه ظـروف الأمة في أوقات الحرب أو الكوارث أو ... الخ .

٤-إلغاء جميع القيود على امتلاك الأرض المشـاع لاستصـلاحها أو استغلالها أو الانتفاع بها ، بأي وجه لا يتنافى مع الشرع .

٥-إلغاء القوانين الظالمة بين المؤجر والمستأجر ، والالتـزام بضـوابط العرض والطلب وعدم الغش أو التدليس أو الاحتكار .

٦-إلغاء كل استثمار : يقوم على محرم ، أو يأتي بمحرم ، أو يـؤول إلى حرام أو تحريم أو محرم ، كصناعات الكروم والخمـور والملاهـي والمراقص وشواطيء العراة وسياحة الجنس وآليات الإعلام غـير الشرعية ... الخ .

٧-تحرير التجارة الخارجية من القوانين الوضعية التي تحول بين المسلمين والمكاسب الحلال ، واحترام مصالح البلاد .

مرتكزات منظومة العولمة في الإسلام

وبناء على ما سبق طرحه ، يكون واضحاً في أذهـان المسـلمين ، كإيمان ومعتقد – وفق هذه المنظومة الكلية لدينهم – أن الإسلام ، هو

المعتقد الإلهي الوحيد الذي يمتلك كل مقومات ومرتكـزات العولـمة بمفهومها الشامل والدقيق ، ومن أهمها :

- العالمية : لقوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الفاتحـة) ، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء) .

- الربانية : لقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام) .

- رفض وصاية غـير الله : لقولـه تعـالى ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ (الكافرون) ، ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ . (البقـرة ٢٥٦) ، ﴿ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ . (الشورى) .

- الوسطية : لقولـه تعـالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقـرة ١٤٣) .

- العدل : لقوله تعالى ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ (الشورى ١٥) .

- خيرية الأوامـر : لقولـه تعـالى ﴿ وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) (آل عمران)

- حقـــوق الإنســـان : لقولـــه تعـــالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ . (الإسراء ٧٠) .

- الاســـتقامة : لقولـــه تعـــالى ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ . (الشـــورى ١٥) ، ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . (الأنعام ١٦١) .

- سنن الله في علو الأمـــم : لقولـــه تعـــالى ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . (آل عمران ١٤٠) .

- حسن الخلق : لقوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ . (القلم) .

- قبول الآخر : لقوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ . (هـــود ١١٨- ١١٩) ، ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ . (المائدة ٤٨) .

- اصطفاء الصالحين بالاستخلاف : لقوله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (النور ٥٥) .

- **الدعوة الدائمة للتثقيف والـتعلم** : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾ (العلق) .
- **الدعوة بالحكمة** : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (النحل ١٢٥) ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ (فصلت ٣٣) .
- **ضوابط الجدال** : ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ . (النحل ١٢٥) ، ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ . (الشـــورى ٤٨) ، ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝ ﴾ (الغاشية) .
- **آداب الحكم** :﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾ (الشعراء) .
- **التراحم والـبر** : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ (الممتحنة ٨) .
- **محـــاربة الفـــواحش** : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ ﴾ (النور) .

- ضوابط الحوار : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (آل عمران) .
- حق الضعفاء : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾ . (القصص) .

وفي السنة النبوية المطهرة ، عشرات الأحاديث ، والروايات التي تؤكد على عالمية النظم الإسلامية في التشريع ونظم الحكم وسياسة الدنيا وقوانينها بما فيها من مصالح البشر وإصلاح أمورهم وحل مشكلات حياقم الأممية والخاصة على حد سواء .

وعلى الله قصد السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .